أروع كتب الجريمة

جورج سيمنون



الأميرة الروسية

أروع كتب الجريمة

چورج سيمنون

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية
ومكتبة المعارف ببيروت

الأميرة الروسية

جورج سيمنون

ترجمة محمد عبد المنعم جلال

كتاب الملايين

في المغامرة . الجريمة . الأثارة . الجاسوسية . الخيال العلمي

كتبها مؤلفون أذكياء لقراء أذكياء

أجاثا كريستي	جريمة في قطار الشرق السريع الشر تحت الشمس
سيمنون	نهاية محتال الأميرة الروسية
هيتشكوك	الرجل الثالث الهـــارب
ستانلي جارنر	محامي الشيطان مخالب من حرير
ادجار وولاس	الدائرة الحمراء
كونان دويل	وادى الرعب

(١)

ذات القبعة البيضاء

فرغت مدام ميجريه من اعداد الدجاجة ووضعتها فى صينية ، ومعها جزرة جميلة حمراء وبصلة كبير، وحزمة من البقدونس تجاوزت أوراقها حافة الصينية ، ثم أدخلتها الفرن. وبعد أن ضبطت درجة النار وجعلتها من الخفوت بحيث لا تنطفىء لأي سبب من الاسباب ، اغلقت جميع النوافذ فيما عدا نافذة النوم وهى تتساءل ان لم تكن نسيت شيئا ما . وأخيراً ، وبعد أن ألقت نظرة فاحصة فى مرآتها غادرت مسكنها راضية، وأغلقت الباب بالمفتاح ثم دسته فى حقيبة يدها.

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة من صباح أحد أيام شهر مارس، وكان الطقس باردا والشمس متلألئة . ولو أنها مشيت حتى ميدان الجمهورية لامكنها ان تستقل الحافلة حتى شارع باريس ، ولبلغت ميدان دانفر فى الوقت المناسب لموعدها المضروب فى الحادية عشرة .

ولكنها بسبب السيدة الصغيرة ، هبطت السلم الى محطة

ريشار لينوار ، على بعد خطوات من بيتها . وقطعت الطريق كله فى النفق وهى تنظر فى غموض الى الاعلانات المألوفة على جدران المحطات البيضاء .

كان ميجريه قد استخف بها بعض الشىء فقد كانت لديه مشاغل كثيرة منذ ثلاثة أسابيع ، وقال لها :

– هل أنت واثقة انه لا يوجد طبيب أسنان بارع على مقربة منا ؟

ولم يكن قد سبق لمدام ميجريه أن عالجت أسنانها قبل ذلك. ولكن مدام روبلان ، السيدة التى تقيم بالدور الرابع والتى لا تخرج إلا وبرفقتها كلبها أطنبت فى حديثها مرارا وتكرارا على الدكتور فلورسكو بحيث استقرت نيتها على أن تذهب لزيارته . وقد قالت لها تلك السيدة :

– ان له أصابع خفيفة ، ولن تشعرى بأى شىء وهو يعمل فى فمك . واذا قلت له انك آتية من طرفى فلن يتقاضى منك الا نصف ما يتقاضاه من أى شخص آخر .

وكان الطبيب رومانيا ، تقع عيادته فى الدور الثالث من عمارة بناصية شارعى تيرجو وترودين ، أمام ميدان دانفر . وكانت مدام ميجريه تذهب اليه فى ذلك اليوم للمرة السابعة أو الثامنة ، وكان موعدها فى الساعة الحادية عشرة دائما .

وقد أصبح ذلك أمراً روتينيا بالنسبة لها .

وكانت قد بلغت العيادة فى أول مرة قبل الموعد بربع ساعة، وذلك لخوفها الشديد من أن تصل متأخرة ، وأضطرت أن تنتظر فى المرة الثانية . وفى كلتا المرتين لم تدخل حجرة الطبيب إلا فى الساعة الحادية عشرة والربع .

ولكن فى زيارتها الثالثة كانت الشمس متلئلئة ، وكان الميدان الذى تقع العمارة فيه يعج بزقزقة العصافير بحيث عقدت النية على الجلوس فى مقعد مستطيل فى انتظار موعدها . وبهذه الطريقة تعرفت على السيدة ذات الطفل الصغير .

وأصبحت تلك عادة من عاداتها ، فكانت تتعمد الخروج مبكرة وتستقل المترو لاكتساب بعض الوقت .

كان يسرها ان ترى العشب الاخضر والبراعم الصغيرة التى تفتحت لتوها على أغصان بعض الاشجار التى تلقى ظلالها على جدران مدرسة الليسيه . ومن مقعدها كانت تتابع بعينيها حركة بوليفار روشيشوار والحافلات الخضراء والبيضاء التى كانت تبدو كما لو كانت دوابا كبيرة، وسيارات الاجرة وهى تنطلق بعضها خلف البعض .

وكانت السيدة تجلس مكانها وهى ترتدى التايير الازرق

الذى رأته عليها من قبل . وفوق رأسها قبعتها الصغيرة البيضاء التى تليق بها تماما ، وتزحزحت قليلاً لكى تفسح لمدام ميجريه مكانا ، وكانت هذه الاخيرة قد جاءت معها بقالب من الشيكولاته أعطته للطفل . وقالت السيدة تخاطبه :

– قل لها شكرا يا شارل .

كان يبلغ من العمر سنتين ، وكان الشىء المذهل فيه هو عيناه الواسعتان السوداوان ، وأهدابه الطويلة التى تجعله يبدو كما لو كان بنتا صغيرة ، وقد تساءلت مدام ميجريه فى بادىء الامر اذا كان الطفل يعرف الكلام . واذا كانت المقاطع التى تخرج من بين شفتيه تنتمى الى لغة ما ، ثم أدركت ، من غير أن تجرؤ على الاستعلام عن جنسيتهما . أن السيدة والطفل أجنبيان .

وقالت مدام ميجريه : من رأيى أن شهر مارس أجمل شهور باريس، على الرغم من أمطاره وبرده . هناك من يفضلون مايو أو يونيه غير أن مارس يفوقهما نضارة وطراوة .

وكانت تتلفت ما بين لحظة وأخرى لكى تنظر إلى نوافذ الطبيب ، لانه كان فى مقدورها ، وهى فى مقعدها أن ترى رأس العميل الذى أعتاد الطبيب أن يعالجه قبلها ، وهو رجل فى الخمسين ، كان يخلع كل أسنانه .

وكان الصبى قد أتى معه هذا الصباح بدلو صغير وجاروف، وراح يلعب بالحصى . وكان دائما نظيفا ، حسن الهندام .

وتنهدت مدام ميجريه وقالت : أظن أنه لم يعد أمامى غير زيارة أو زيارتين ، فقد قال لى الدكتور فلورسكو أنه سيبدأ اليوم فى علاج ضرسى الأخير .

وكانت السيدة تستمع إليها وهى تبتسم . كانت تتكلم الفرنسية بطلاقة وبنغمة خفيفة تضفى عليها فتنة وسحرا . وفى الساعة الحادية عشرة الا سبع أو ست دقائق كانت لاتزال تبتسم للطفل الذى بدت عليه الدهشة بسبب الغبار الذى تناثر على وجهه ثم بدت فجأة كما لو كانت تنظر إلى شىء ما فى شارع ترودين ، وظهر عليها التردد ، ولم تلبث أن نهضت وهى تقول على عجل :

- هل لك أن تلاحظيه دقيقة واحدة ؟ .. سوف أعود حالا .

لم تندهش مدام ميجريه كثيرا ، ولكنها عندما تذكرت موعدها تمنت ان تعود الام فى الوقت المناسب ، وكانت من الرقة بحيث لم تلتفت لكى ترى أين تمضى .

ولم يلحظ الطفل شيئا ، فقد بقى قابعا مكانه يملأ دلوه بالحصى ثم يفرغه بعد ذلك لكى يعود فيملأه من جديد ، فى غير سأم أو ملل.

ولم يكن مع مدام ميجريه ساعة ، فان ساعتها كانت قد توقفت منذ سنوات ولم تفكر فى اصلاحها أبداً . وأقبل عجوز فجلس على المقعد ، ولم يكن هناك ريب فى أنه من الحى نفسه ، لانها كانت قد رأته قبل ذلك .

وسألته : هل تتكرم فتذكر لى كم الساعة الآن يا سيدى ؟

والظاهر أنه لم تكن معه ساعة هو الآخر لانه اكتفى بأن قال :

– الحادية عشرة تقريبا .

ولم تعد ترى رأس المريض فى نافذة الطبيب ، فبدأت تشعر بالقلق ، ودارت بعينيها فى الميدان ، ولكنها لم تر أى أثر للسيدة ذات القبعة البيضاء . هل وقع لها شىء فجأة ؟ وهل تراها رأت شخصا أرادت أن تتحدث معه ؟

وإجتاز أحد رجال الشرطة الميدان فنهضت لكى تسأله عن الوقت . كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة تماما .

ولم تعد السيدة ، وراحت الدقائق تمر . ورفع الطفل عينيه نحو المقعد ، ورأى أن أمه غير موجودة ، ولكن لم يبد عليه أى قلق ...

لو تستطيع فقط أن تخطر الطبيب ؟ لم يكن عليها إلا أن تجتاز الشارع وأن تصعد ثلاثة أدوار . وأوشكت أن تطلب

بدورها من الرجل العجوز أن يلاحظ الطفل ريثما تمضى وتخطر الطبيب فلورسكو ، ولكنها لم تجرؤ ، وبقيت واقفة مكانها تنظر حولها فى قلق متزايد .

وعندما سألت عن الساعة للمرة الثانية ، كانت قد بلغت الحادية عشرة والثلث . وكان الرجل العجوز قد انصرف . ولم يعد هناك بالمقعد أحد غيرها . ورأت المريض الذى يسبقها يغادر العمارة ويتجه نحو شارع روشيشوار .

ماذا يجب أن تفعل ؟ ... هل حدث شىء للسيدة الشابة ؟ .. اذا كانت قد صدمتها سيارة لرأت زحاما ولابصرت الناس يسرعون .. ولكن لعل الطفل يتملكه الذعر فجأة .

كان الموقف غريبا. وسوف يتهكم ميجريه بلا شك. ولكن الافضل ألا تسر إليه بشىء، ولكن هل تجرؤ وتحدثه بما وقع لها .

وأحست بالسخونة تسرى فى أطرافها فجأة ، فقد غلى الدم فى عروقها لفرط الانفعال ، وخاطبت الطفل فسألته قائلة :

- ما أسمك ؟

ولكن الطفل أكتفى بأن راح ينظر اليها بعينيه الداكنتين من غير أن يرد . فعادت تقول :

- هل تعرف أين تقيم ؟

لم يكن مصغيا اليها، وخطر لها انه ربما لا يفهم اللغة الفرنسية .

- معذرة يا سيدى .. هل تتفضل فتخبرنى كم الساعة الآن؟
- الثانية عشرة إلا الثلث يا سيدتى .

ولم تعد الام ، وفى تمام الظهر ، عندما انطلقت بعض الصفارات وامتلأت الحانة المجاورة بالبنائين والعمال لم تكن قد عادت بعد .

ولم يعد يزعج مدام ميجريه عندئذ غير شىء آخر ، هو دجاجتها التى تركتها فى الفرن . لقد أخبرها ميجريه أنه يحتمل جدا أن يعود فى الساعة الواحدة لتناول الغداء .

أليس من الاوفق لها أن تتصل بالبوليس ؟ .. ولكن يلزمها أن تغادر الميدان لكى تفعل ذلك . وإذا هى أخذت الطفل معها وعادت الام أثناء ذلك فسوف يتملكها الذعر ، وستجن من القلق ، ولا يعلم غير الله أين تذهب بدورها وكيف تلتقيان بعد ذلك . ولم يكن بمقدورها أن تترك طفلا فى السنة الثانية من عمره فى منتصف الطريق طبعا .. على بعد خطوات من الحافلات والسيارات التى تمر فى غير انقطاع .

- معذرة يا سيدتى .. كم الساعة الآن ؟
- الثانية عشرة والنصف .

لا ريب أن الدجاجة قد بدأت تحترق ، وسيعود ميجريه بعد لحظات ، وستكون هذه أول مرة منذ زواجهما لا يجدها فى

البيت عند عودته .

وكان من المستحيل أن تتحدث معه بالتليفون هو الآخر ، لأنه كان يتعين عليها أن تغادر الميدان وأن تدخل البار . لو يأتى الشرطى الذى رأته قبل ذلك أو أى شرطى آخر فسوف تذكر له من هى وتسأله أن يتصل بزوجها . ولكن كما لو أن الأمر قد جاء عمدا ، لم تر أى شرطى . وراحت تتلفت من كل ناحية ، وتجلس ثم تنهض وهى تتخيل ، ما بين لحظة وأخرى أنها ترى القبعة البيضاء ، ولكنها لم تكن أبداً القبعة التى تتوقعها .

وأحصت أكثر من عشرين قبعة فى نصف ساعة من بينها أربعا ترتدى صاحباتها تاييرا كحليا .

* * *

فى الساعة الحادية عشرة ، فى الوقت الذى بدأت مدام ميجريه تشعر فيه بالقلق ، مضطرة إلى البقاء فى الميدان لملاحظة طفل لا تعرف حتى اسمه ، وضع ميجريه قبعته فوق رأسه وخرج من مكتبه ووجه بضع كلمات إلى لوكاس ثم مضى وهو يتذمر نحو الباب الذى يفصل بين مكاتب البوليس الجنائى ودار القضاء .

كان الامر قد أصبح عادة منذ ذلك الوقت الذى بدأت مدام ميجريه تذهب فيه إلى طبيب الاسنان تقريبا .. وبلغ ميجريه

دهليز قضاة التحقيق ، حيث ينتظر دائما أناس مجهولون فوق المقاعد، بعضهم بين رجلين من رجال الشرطة ، وطرق بابا عليه لافتة تحمل اسم القاضي دوسان .

- أدخل .

كان القاضي رجلا ضخما ، ما أن رأى ميجريه حتى بادره قائلاً :

- أجلس يا ميجريه ودخن غليونك . هل قرأت مقال هذا الصباح ؟ .

- لم أر الجرائد بعد .

دفع القاضي إليه بجريدة بها عنوان كبير بالحروف الضخمة في الصفحة الأولى هذا نصه :

« قضية سنوفيل »

« الاستاذ فيليب ليوتار يلجأ إلى لجنة حقوق الانسان »

قال دوسان : لقد دار بيني وبين المدعى العام حديث طويل، وهو يتفق معي في الرأى .. اننا لا نستطيع أن نطلق سراح المجلد ، ولو أردنا ذلك لمنعنا ليوتار نفسه بسلاقته وحدته .

كان هذا الاسم يكاد يكون مجهولا في دار القضاء قبل ذلك ببضعة أسابيع ، فان فيليب ليوتار ، وكان قد تجاوز الثلاثين بقليل ، لم يترافع في أية قضية هامة ، فبعد أن قضى خمس

سنوات يعمل سكرتيرا لاحد كبار المحامين بدأ يعمل لحسابه الخاص ، وكان فى ذلك الوقت لا يزال يقيم في شقة متواضعة بشارع بيرجير ، بجوار بيت من بيوت الدعارة .

ولكن منذ أن تفجرت قضية ستوفيل وأخذت الجرائد تفيض فى الحديث عنها كل يوم راح يعطى الأحاديث المدوية ويرسل النشرات ، بل راح يظهر فى جريدة الانباء بالسينما وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة :

- هل هناك جديد ؟

- لاشيء يستحق الذكر يا سيدى القاضى .

- هل تأمل فى العثور على الرجل الذى سلم البرقية ؟

- أن تورينس فى كونكارنو ، وهو رجل يجيد التصرف .

كانت قضية ستوفيل ، التى أثارت الرأى العام منذ ثلاثة أسابيع لا تزال تحظى ببعض العناوين فى الجرائد ، كما لو كانت رواية مسلسة .

وقد بدأت القضية بالعنوان التالى :

« قبو شارع تورين »

ومن غريب الصدف أن القضية بدأت فى حى يعرفه ميجريه كل المعرفة ، وكان يرجو الاقامة فيه وهو يقع على بعد خمسين مترا من ميدان الفوج .

فبعد شارع جران بورجوان ، وعلى ناصية شارع تورين من ناحية شارع الجمهورية ، يقع على اليسار بار صغير مدهون باللون الاصفر ويجواره محل « ألبان سالمون » ثم ورشة تجليد منخفضة السقف ، ذات واجهة زجاجية يعلوها الغبار مكتوب عليها بحروف قاتمة : ورشة الفن للتجليد . أما المحل الذى يليه فقد خصصته مدام رانس ، الارملة ، لبيع المظلات .

وبين ورشة التجليد ومحل المظلات باب يفضى إلى غرفة البواب . وفى آخر الفناء ، فندق خاص قديم تحول الآن إلى عدة مكاتب ومساكن .

« جثة فى غرفة التدفئة »

أما ما لم يعرفه الجمهور فهو أن البوليس حرص على ألا يذكر للجرائد أن القضية قد بدأت بأغرب الصدف ، ففى ذات صباح عثر البوليس الجنائى فى صندوق البريد الخاص به بادارة الامن على قصاصة خبيثة من الورق الذى يستعمل فى اللف وعليها هذه الكلمات :

« مجلد شارع تورين أحرق جثة فى غرفة التدفئة بمسكنه »

ولم تكن القصاصة تحمل أى توقيع ، وانتهى بها المطاف إلى مكتب ميجريه . وكان هذا الاخير متشككا فلم يكلف أحد مفتشيه القدامى ، وإنما أرسل لابوانت الشاب ، وهو شرطى

كان يتمرن لاظهار مواهبه .

ورأى لابوانت أن هناك ورشة تجليد فى شارع تورين حقا يتولاها رجل فلمندى نزح إلى فرنسا منذ خمسة وعشرين سنة ويعرف باسم فرانز ستوفيل ، وزعم لابوانت أنه من موظفى الصحة وفحص المكان وعاد إلى رؤسائه ومعه تقرير واف .

– أن ستوفيل يقوم بعمله فى الفترينة ، اذا جاز لنا هذا القول يا سيدى القوميسير ، أما الورشة فكبيرة ومظلمة ، تزداد ظلمة كلما ابتعدت أنت عن الشارع ، ويقطعها حاجز خشبى أقام آل ستوفيل غرفة نومهما خلفه .

« وهناك سلم يفضى إلى مطبخ تحت الأرض ، وغرفة صغيرة تستخدم لتناول الطعام لابد من اضاءتها طوال اليوم ، وهناك أخيرا قبو ...

– وهل يوجد به جهاز تدفئة ؟

– نعم . وهو جهاز قديم يبدو أنه فى حالة غير جيدة .

– وهل يعمل ؟

– لم يكن مشتعلا صباح اليوم .

وذهب لوكاس بعد ظهر اليوم لكى يقوم بتفتيش رسمى . من حسن حظه أنه حرص على أن يأخذ إذنا بالتفتيش لأن لجلد اعترض محتجا بحرمة البيوت وحصانتها .

وأوشك البريجادير لوكاس أن يعود بخيبة حنين . ولكن الآن وقد أصبحت هذه القضية الكابوس المزعج للبوليس الجنائى فانهم أخذوا ينظرون إليه بحقد لأنه أفلح فى مهمته جزئيا .

ففى قاع جهاز التدفئة ، وبينما هو يغربل الرماد عثر على ضرسين آدميين حملهما إلى المعمل على الفور . وسأله ميجريه، ولم يكن فى ذلك الوقت ، يهتم بهذه القضية إلا من بعيد .

– أى نوع من الرجال هذا المجلد ؟

- أنه فى نحو الخامسة والاربعين ، أحمر الشعر ، بوجهه آثار الجدرى ، أزرق العينين ، رقيق الحاشية ، ومع أن زوجته تصغره سنا إلا أنها تحنو عليه كما لو كان طفلا .

وعرف الجميع الآن أن فرناند، وقد أصابتها الشهرة بدورها، اقبلت إلى باريس لكى تعمل خادمة ، وأنها قضت سنوات طويلة تتسكع فى شارع سيباستبول ، وكانت فى السادسة والثلاثين وتعيش مع ستوفيل منذ عشر سنوات . وقد تزوجا فجأة منذ ثلاث سنوات ، بدون أى سبب ظاهر .

وأرسل المعمل تقريره فقال أن الضرسين لرجل فى نحو الثلاثين من عمره ، ممتلىء الجسم وأنه كان لا يزال على قيد الحياة قبل ذلك ببضعة أيام .

وجىء بستوفيل إلى مكتب ميجريه فى رفق . وجلس على

مقعد مكسو بالمخمل الاخضر أمام النافذة التى تطل على نهر السين ، وكانت الدنيا تمطر فى ذلك اليوم مطرا شديدا . وأثناء التحقيق الذى أستمر نحو أثنتى عشرة ساعة كانت قطرات المطر تسمع وهى تصطفق بزجاج النوافذ وخرير الماء وهو ينساب فى المزاريب . وكان المجلد يضع على عينيه نظارة ذات زجاج سميك وشمبر من المعدن . وكان شعره طويلا بعض الشيء وكثيفا . وكان مشعثا . ويلبس ربطة عنقه بالمقلوب .

كان رجلا مثقفا واسع الاطلاع ، بدأ هادئا متزنا . وكانت بشرته الرقيقة الحمراء لا يظهر عليها الانفعال أو التأثر بسهولة .

– كيف تفسر وجود الضرسين البشريين فى غرفة التدفئة ؟

– لا أدرى .

– ألم تفقد أى ضرس من أضراسك أنت أو زوجتك أخيراً ؟

– لا أنا ولا هى .. اننى ألبس طاقما صناعيا .

وخلع طاقم أسنانه من فمه تدليلا على قوله ثم أعاده مكانه فى حركة عادية .

– هل يمكنك أن تذكر لى ماذا فعلت ليلة ١٦ و ١٧ و ١٨ فبراير ؟

كان الاستجواب يدور فى ليلة ٢١ .. أى بعد أن فرغ لابوانت

من زيارته ، ولو كاس من تفتيشه بشارع تورين .

– أهناك يوم جمعة بين هذه الايام .

– يوم ١٦ .

– اذا كان الامر كذلك فإننى ذهبت إلى سينما سان بول بشارع أنطوان كما أفعل كل جمعة .

– مع زوجتك ؟

– نعـــم .

– واليومان الباقيان ؟

– سافرت فرناند بعد ظهر يوم السبت .

– أيـــن ؟

– إلى كونكارنو .

– وهل كانت تزمع الرحيل منذ وقت طويل ؟

– ان أمها عاجزة ، وتقيم مع ابنة لها فى كونكارنو . وفى صباح يوم السبت جاءتنا برقية من أختها لويز تقول أن أمها مريضة جدا فاستقلت فرناند أول قطار .

– من غير أن تتصل بالتليفون ؟

– ليس لديهم أى تليفون ؟

– هل كانت الام فى حالة خطرة ؟

– لم تكن مريضة على الاطلاق .. فان البرقية لم تأت من لويز .

- ممن أتت اذن ؟

- لا نـــدرى .

- هل سبق أن رحت ضحية مثل هذه الخدعة ؟

- أبـــداً .

- ومتى عادت زوجتك ؟

- يوم الثلاثاء ، فقد أنتهزت فرصة وجودها هناك وبقيت يومين مع أمها وأختها .

- وماذا فعلت أنت طوال هذا الوقت ؟

- اشتغلت .

- يقول أحد السكان أن دخانا كثيفا تصاعد من مدفأتك طوال يوم الاحد .

- هذا جائز ، فقد كان البرد قارسا .

وكان هذا صحيحا ، فقد كان يوم الاحد ويوم الاثنين شديدى البرد إلى درجة أن الصقيع شوهد فى بعض الأحياء .

- ماذا كنت ترتدى مساء يوم السبت ؟

- الثياب التى أرتديها اليوم .

- ألم يأت أحد لزيارتك بعد أن أغلقت المحل ؟

- لا أحد فيما عدا عميل جاء يبحث عن كتابه . هل تريد أسمه وعنوانه ؟

كان العميل رجلا معروفا وعضوا من أعضاء هواة الكتب النادرة ، وكانوا جميعا من الشخصيات البارزة .

– تقول مدام سالازار ، بوابة البيت أنها سمعت بعضهم يطرق بابك فى تلك الليلة فى نحو الساعة التاسعة وان أشخاصا كثيرين كانوا يتبادلون الحديث فى حدة .

– لعلهم كانوا يتحدثون على الرصيف وليس فى مسكنى ، ومن الجائز جدا أنهم وقفوا أمام محلى واحتدوا فى حديثهم كما تقول مدام سالازار .

– كم بدلة لديك ؟

– بما أنه ليس لى غير جسد واحد ورأس واحدة فاننى لا أملك غير بدلة واحدة وقبعة واحدة ، وذلك بخلاف البنطلون القديم والصدرية الصوف اللتين استخدمهما فى العمل .

وعرضوا عليه عندئذ سترة زرقاء عثروا عليها فى دولاب مسكنه ، وسألوه : وهذه ؟

– ليست لى .

– وكيف جاءت إلى دولاب ملابسك ؟

– لم أرها قط . فى مقدور أى شخص أن يدسها فى دولاب ثيابى أثناء غيابى ، فأنا هنا منذ ست ساعات .

– هل لك أن تلبسها من فضلك ؟

وجاءت السترة على مقاسه تماما .

- هل ترى هذه البقع التى تشبه الصدأ .. أنها بقع من الدم ، وهو دم بشرى طبقا لتقرير الخبراء .. وقد حاول بعضهم ازالتها عبثا .

- لا أعرف هذه البدلة .

- ان مدام رانسيه صاحبة محل المظلات تقول إنها رأتك كثيراً وأنت تلبس بدلة زرقاء خصوصا أيام الجمع عندما تذهب إلى السينما .

- كانت لدى بدلة أخرى زرقاء ، ولكننى تخلصت منها منذ أكثر من شهرين .

كان ميجريه مقطبا بعد هذا الاستجواب الاول ، ودار بينه وبين القاضى دوسان حديث طويل مضيا بعده إلى المدعى العام.

وكان هذا الاخير هو الذى تحمل مسئولية القاء القبض على المجلد قائلاً :

- ان الخبراء متفقون ، أليس كذلك ؟ .. أما الباقى فهو من شأنك أنت يا ميجريه.. لا يمكن أن نطلق سراح هذا الرجل.

ومن بين عناوين الصحف كان هناك عنوان أصاب نجاحا لا بأس به وهو :

« الحقيبة التى اختفت »

والواقع أن لابوانت الشاب حين ذهب إلى المجلد زاعما أنه أحد موظفى الصحة رأى حقيبة سمراء ضاربة إلى الاحمرار تحت منضدة المجلد .

- كانت حقيبة عادية رخيصة اصطدمت بها عفوا ، وقد دهشت لان الصدمة آلمتنى بحيث أننى أردت أن أنقلها من مكانها ولكنها كانت ثقيلة على غير العادة .

ولكن فى الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم نفسه ، عندما ذهب لوكاس للتفتيش لم تكن الحقيبة موجودة ، واذا نحن توخينا الدقة فاننا نقول أنه كانت هناك حقيبة سمراء تميل إلى الاحمرار هى الاخرى . ومن النوع الرخيص كذلك ، ولكن لابوانت أكد تأكيدا قاطعا بأنها ليست نفس الحقيبة التى سبق أن رآها .

وقالت فرناند : إنها الحقيبة التى أخذتها معى إلى كونكارنو ، ولا نملك أية حقيبة غيرها أبدا فنحن والحق يقال لا نسافر كثيرا .

وأصر لابوانت على رأيه وأقسم أنها ليست نفس الحقيبة ، وأن الأولى كانت فاتحة اللون وقبضتها مثبتة بقطعة من الدوبارة .

وقال المجلد : لو ان لدى حقيبة تحتاج إلى إصلاح فما كنت لاثبتها بقطعة من الدوبارة .. لا تنسوا اننى مجلد وأن مهنتى هى استخدام الجلد .

ولجأ فيليب ليوتار عندئذ إلى شهادات هواة الكتب الذين أكدوا أن ستوفيل من أمهر مجلدى باريس أن لم يكن أفضلهم جميعا ، وأنهم يعهدون إليه بكتبهم الرقيقة لاسيما تلك التى تحتاج إلى إعادة تجليدها من جديد .

واجمع الجميع على أنه رجل هادىء يقضى كل وقته تقريبا فى ورشته ، وعبثا فتش البوليس فى حياته فلم يجد فى ماضيه ما يريب .

كانت هناك قصة فرناند طبعا .. وكان قد تعرف بها وهى تتسكع على الرصيف ، وهو الذى أنقذها من حياتها تلك . ولكن البوليس لم يجد فى حياة فرناند ما يريب بعد ذلك .

وكان تورينس فى كونكارنو منذ أربعة أيام ، وقد عثر فى مكتب البريد على أصل البرقية ، وكانت مكتوبة باليد بحروف المطبعة ، وقالت موظفة مكتب البريد أنه يخيل إليها أنها تتذكر أن امرأة هى التى جاءتها بالبرقية . وراح تورينس يبحث ويسجل قائمة المسافرين الذين أقبلوا من باريس حديثا ، ويستجوب نحو مائتى شخص يوميا .

وقال الاستاذ ليوتار لاحد الصحفيين : أننا لقينا الكثير من كفاءة ميجريه ومناعته ضد الخطأ .

وراح القاضى دوسان يوبخ ميجريه ويلومه بدوره . وكان وجهه يضطرم خجلا وهو يوجه إليه هذا اللوم ، وإنتهى بأن قال:

– ألم تهتد إلى أى دليل جديد ؟

– اننى أبحث .. نحن عشرة .. وأحيانا نكون أكثر .. ونحن نبحث ونستجوب بعض الاشخاص عشرات المرات .. ويأمل لوكاس أن يهتدى إلى الترزى الذى فصل البذلة الزرقاء.

وكما هى العادة ، حين تثير احدى القضايا الرأى العام ، كانت تأتيهم يوميا مئات من الرسائل كانت تدفعهم كلها إلى آثار كاذبة ، وتضيع وقتا كبيرا . ومع ذلك فانهم كانوا يتحققون من اقل شىء ، ويصغون إلى المجانين الذين يزعمون أنهم يعرفون شيئا ما .

وفى الساعة الواحدة إلا عشر دقائق هبط ميجريه من الحافلة ، عند ناصية شارع فولتير ، وألقى نظرة إلى نوافذه كعادته وأدهشه بعض الشىء أن يجد غرفة الطعام مغلقة على الرغم من أشعة الشمس الساطعة التى تنعكس عليها .

وصعد السلم على مهل وأدار أكرة الباب فلم ينفتح ، كان يحدث أحيانا ، حين ترتدى مدام ميجريه ثيابها ، أو حين تنضوها عنها أن تغلق الباب بالمفتاح . وفتح بمفتاحه ، وما كاد يفعل حتى رأى نفسه بين سحابة من الدخان الازرق فأسرع إلى المطبخ وأقفل مفتاح الغاز . وفى الصينية كانت الدجاجة والجزرة والبصلة قد تحولوا إلى كتل من الفحم الاسود .

وفتح كل النوافذ ، وعندما دفعت مدام ميجريه ، وهى تلهث ، الباب بعد نصف ساعة ، ألفته جالسا أمام كسرة من الخبز وقطعة من الجبن .

- كم الساعة ؟ .

وأجابها فى هدوء : الواحدة والنصف .

لم يسبق له أن رآها قط فى مثل هذه الحالة ، بقبعتها المقلوبة وشفتها التى تختلج لفرط اضطرابها .

- أرجو ألا تضحك على .

ولكننى لا أضحك .

- ولا تزجرنى أيضا . لم أستطع أن أفعل غير ما فعلت ، وكنت أتمنى أن أراك مكانى .. حين أرى أنك تأكل قطعة من الجبن ..

- والطبيب ؟

– اننى لم أره .. بقيت من الساعة الحادية عشرة إلا الربع في وسط ميدان دانفر دون أن أستطيع الحراك . .

– هل أصابتك وعكة ما ؟

– وهل رأيتنى أصبت بوعكة ما طوال حياتى ؟ .. كلا . إنما ذلك بسبب الطفل . وعندما بدأ يبكى ويضرب الارض برجليه راح الناس ينظرون إلى كما لو كنت لصة .

– أى طفل ؟

– أننى حدثتك عن السيدة ذات الثوب الازرق وعن طفلها، ولكنك لم تكن تصغى إلى . تلك التى تعرفت بها فوق المقعد ، وأنا أنتظر دورى عند الطبيب . أنها نهضت مسرعة صباح اليوم وابتعدت وهى تطلب منى أن أرقب الطفل لحظة .

– ولم تعد ؟ .. ماذا فعلت بالطفل ؟

– عادت اخيراً منذ ربع ساعة فقط . وجئت فى سيارة أجرة.

– وماذا قالت لك عندما عادت ؟

– أجمل ما فى الأمر أنها لم تقل لى شيئاً على الإطلاق . كنت واقفة وسط الميدان ، كأننى فى دوامة مع الطفل الذى أثار المارة بصراخه وعويله . وفجأة رأيت سيارة أجرة تقف على

ناصية شارع ترودين . وعرفت القبعة البيضاء على الفور . وفتحت باب السيارة وأشارت إلى . وجرى الطفل أمامى ، وخشيت أن تدهمه إحدى السيارات . وبلغ سيارة الأجرة قبلى ، وانقفل بابها عندما اقتربت منها بدورى .

وصاحت المرأة تقول :

- غدا ... سأفسر لك الأمر غدا .. اغفرى لى .

ولم تنطق حتى بكلمة شكر واحدة . ولم تلبث سيارة الأجرة أن انطلقت إلى شارع روشيشوار وانعطفت إلى اليسار ، نحو ميدان بيجال .

وسكتت وقد انبهرت منها انفاسها ، وخلعت قبعتها بحركة مفاجئة بحيث تهدل شعرها ، وقالت :

- أتضحك ؟

- ولكننى لا أضحك .

- أعترف أن هذا يثير ضحكك . ولكن هذا لم يمنع من أنها تركت ابنها أكثر من ساعتين بين يدى امرأة غريبة ... انها لا تعرف حتى اسمى .

- وأنت ؟ .. هل تعرفين اسمها ؟

- كـــلا .

- وهل تعرفين أين تقيم ؟

- لا أعرف شيئا على الإطلاق ، فيما عدا أننى لم أتمكن من الذهاب إلى الطبيب وان دجاجتى احترقت ، وانك تأكل قطعة من الجبن كما لو كنت ... كما لو كنت ....

وإذ لم يسعفها النطق أجهشت بالبكاء، وهى تمضى إلى غرفة النوم لكى تستبدل ثيابها .

(٢)

مناعب تورين العظيم

كانت لميجريه طريقته الخاصة فى ارتقاء طابقى ادارة البوليس ، فكان يبدو ، فى البداية ، خلى البال ، غير مكترث وهو يصعد اولى درجات السلم ثم لا يلبث أن تتغير ملامحه كلما تغلغل داخل الادارة كما لو أن مشاكل المكتب تأخذ منه كل أفكاره كلما أقترب منه ...

وحين يمر بالحاجب يكون قد تغير تماما وأصبح الرئيس . وفى هذه الأيام الأخيرة ، اعتاد ، قبل أن يدفع باب مكتبه ، سواء كان الوقت صباحا أو بعد الظهر ، أن يدخل مكتب المفتشين ، وينتقل منه ، وقبعته على رأسه ومعطفه فوق ظهره ، إلى مكتب لوكاس ، الذى لقب بهذه المناسبة باسم «تورين العظيم» كناية على الاهمية التى اتخذتها قضية ستوفيل ، فقد عهدوا إلى لوكاس بجمع المعلومات ومضاهاتها بعضها ببعض والتحقق منها يوميا ، وازداد العمل وتراكم لانه هو الذى كان يأخذ المكالمات التليفونية ويفض البريد الخاص بالقضية ويستقبل المرشدين ، ولهذا لم يستطع مباشرة عمله فى مكتبه الخاص ،

حيث حركة الدخول والخروج مستمرة ، فلجأ إلى غرفة مجاورة خطت يد عابثة على بابها هاتين الكلمتين « تورين العظيم » .

وما أن يفرغ أحد المفتشين من قضية ما أو ما أن يعود أحدهم من مهمته حتى يخاطبه أحد زملائه قائلاً :

– هل فرغت من عملك ؟

– نعـــم .

– اذهب إلى تورين العظيم اذن فانه بحاجة إلى موظفين .

وكان هذا حقا ، فان لوكاس لم يكن لديه ما يكفيه من الموظفين ، ولم يكن هناك شخص بادارة البوليس إلا وقد ذهب أكثر من مرة إلى شارع تورين .

كانوا جميعهم يعرفون المكان جيدا .. ورشة التجليد ، والمقاهى الثلاثة التى تقع حولها .. أولا مقهى ومطعم بشارع جيران بورجوا ، ثم مقهى تورين أمام الورشة ، وأخيراً مقهى الفوج ، وتقع على بعد ثلاثين مترا ، اتخذه الصحفيون مقرا لهم .

فقد كانوا يتابعون القضية هم أيضا ، فكانوا يقضون أوقاتهم فى مقهى الفوج ويراقبون ورشة الفلمندى . كانت المقهى مقرا عاما لهم . اما مكتب لوكاس فقد أصبح فرعا لها بالنسبة لهم .

وأغرب ما فى الأمر هو أن لوكاس الشهم قد احتجزه العمل وانهمك فى تبويب الشهادات والتحقق منها ، وكان هو الوحيد الذى لم يذهب إلى مكان الجريمة منذ زيارته له فى أول يوم .

ومع ذلك فقد كان هو الوحيد الذى يعرف المكان خيرا منهم جميعا . كان يعلم أن هناك محلا للنبيذ بعد مقهى تورين ، وكان يعرف اصحابه ، وكان يكفيه أن يطلع على بطاقة ما لكى يعرف الاقوال التى ادلى بها كل منهم إلى المفتشين الذين استجوبوهم .

كلا .. أن أصحاب هذا المحل لم يروا شيئا ، فقد سافروا مساء السبت إلى وادى شيفروز حيث اعتادوا قضاء عطلة نهاية الاسبوع فى فيللا صغيرة شيدوها لهذا الغرض .

وبعد محل النبيذ كان هناك محل اسكافى يدعى مسيو بوسكيه ، وكان هذا الأخير كثير الكلام على النقيض من الآخرين ، ولكن كان عيبه أنه لا يذكر نفس الشىء للجميع ، وكان هذا يرجع إلى الوقت الذى يستجوبونه فيه وإلى عدد الكئوس التى تناولها فى أحد المقاهى القريبة .

وتأتى بعده مكتبة فرير ، وهى عبارة عن محل لبيع الأدوات المكتبية بالجملة ، وخلفه ، فى الفناء ، محل لعمل علب من الكرتون .

وفوق ورشة فرانز ستوفيل، كانت هناك ورشة لصناعة المجوهرات الصناعية معروفة باسم « ورشة ساس ولابنسكى » يعمل بها نحو عشرين فتاة وأربعة أو خمسة من الرجال لهم أسماء غريبة من العسير حفظها ، وقد استجوبهم رجال البوليس جميعا، بل أن بعضهم تم استجوابهم أربع أو خمس مرات . وقد قام باستجوابهم مفتش مختلف فى كل مرة ، هذا بخلاف تحقيقات رجال الصحافة المتكررة . كانت هناك منضدتان من الخشب الابيض فى مكتب لوكاس تكدست فوقهما الاوراق والتقارير والمذكرات . وكان لوكاس وحده يعرف كل ما فيها .

كان يبوب مذكراته أولا بأول دون ملل أو تعب ، وقد جاء ميجريه بعد ظهر اليوم مرة أخرى فوقف خلفه دون أن ينطق وهو يدخن غليونه .

كانت هناك ورقة تحمل كلمة « الاسباب » اسودت بالملاحظات وشطبت كلها الواحدة بعد الاخرى .

وكانوا قد وجهوا ابحاثهم إلى الناحية السياسية ، ليس بالمعنى الصحيح الذى أشار إليه الاستاذ ليوتار ، لأن ذلك لم يكن له أى أساس ، ولكن ستوفيل كان يعيش منزويا ، وكان يحتمل أنه ينتمى إلى منظمة إرهابية .

ولكن لم تسفر هذه التحريات عن أى شىء فكلما نقبوا

فى حياته كلما بدت لهم نظيفة لا يشوبها شائبة . وكانت الكتب التى تضمها مكتبته كتبا مختارة كلها لانها لأشهر كتاب العالم كله وتدل على أن صاحبها رجل ذكى على جانب كبير من الثقافة ... لم يكن يكتفى بقراءتها ، وإنما كان يدون ملاحظاته على هوامشها .

الغيرة ؟ ... لم تكن فرناند تخرج بدونه أبداً إلا لشراء ما يحتاجان إليه من السوق ، ومن مكانه كان فى مقدوره تقريبا أن يتابعها ببصره وهى تشترى ما تريد .

وقد تساءل المحققون إذا لم تكن هناك علاقة بين الجريمة المزعومة وبين وجود ورشة التجليد تحت مصنع الحلى الصناعية. ولكن لم تقع أية سرقة فى المصنع ، ثم أن عمال المصنع وأصحابه كانوا لا يعرفون المجلد معرفة وثيقة ولم يزد الامر معهم عن رؤيتهم له وهو يباشر عمله من خلف زجاج الفترينة .

ولا شىء أيضا من ناحية بلجيكا ، فقد غادرها ستوفيل وهو فى الثامنة عشرة من عمره، ولم يعد إليها بعد ذلك أبداً، ولم يهتم بالسياسة فى حياته كلها ، ولم يكن هناك ما يدل على أنه ينتمى إلى أية حركة فلمندية متطرفة .

واجه المخققون كل الاحتمالات ، وقلب لوكاس كل الآراء وأكثرها غرابة تبرئة لضميره ، وكان يفتح باب مكتب المفتشين

ويدعو أحدهم كيفما اتفق ، وكانوا يعرفون معنى هذا : تحقيق جديد لابد لهم من القيام به فى شارع تورين أو فى أى مكان آخر . وكان يقول عندئذ لميجريه وهو يأخذ ورقة من الملفات المكدسة فوق مكتبه .

- أظننى اهتديت إلى شيء .. أننى وجهت نداء إلى جميع سائقى سيارات الاجرة . وقد خرج من عندى الآن سائق روسى تجنس أخيرا بالجنسية الفرنسية ، وسأتحقق من اقواله .

كانت كلمة «سأتحقق» هى الكلمة الشائعة عندئذ .

- أردت أن أعرف إذا كانت إحدى سيارات الاجرة قد أقلت يوم ١٧ فبراير شخصا أو أكثر إلى محل المجلد بعد غروب الشمس . وقد قال لى ذلك السائق : ويدعى جورج بسكين أن ثلاثة أشخاص استقلوا سيارته فى الساعة الثامنة والربع تقريبا فى ذلك اليوم من محطة سان لازار ، وأنهم طلبوا منه أن يذهب بهم إلى ناصية شارعى تورين وجران بورجوا . وكانت الساعة قد تجاوزت الثامنة والنصف عندما هبطوا من سيارته، وهذا يتفق تقريبا مع شهادة البوابة فيما يتعلق بالاصوات التى سمعتها . والسائق لا يعرف هؤلاء الركاب ولكنه يقول أن بين الثلاثة الذين ركبوا معه رجل شرقى كان أكثرهم شراسة وغلظة.

– وبأى لغة كانوا يتكلمون ؟

– باللغة الفرنسية . وكان هناك رجل كبير أشقر بدين بعض الشيء في الثلاثين من عمره ، كان يبدو قلقا ولا يشعر بالارتياح . أما الآخر فهو رجل فرنسي متوسط العمر لا يرتدى ثيابا جيدة مثلهما ولا يبدو أنه ينتمى إلى نفس الوسط الذى ينتمى إليه الآخران . وعندما هبطوا من السيارة دفع الشرقى الاجرة ، ومضوا جميعا إلى شارع تورين صوب المجلد .

ولولا قصة سيارة الاجرة هذه لما فكر ميجريه فى الحادث الذى وقع لزوجته فقد قال يخاطب لوكاس :

– بما انك تهتم بسائقى سيارات الاجرة الآن فيمكنك أن تستعلم عن حادث صغير وقع صباح اليوم وليس له أية صلة بقضيتنا هذه ، ولكنه يثير حيرتى .

ولكن لوكاس سرعان ما رأى غير ذلك ، وربط بين هذا الحادث الصغير وبين قضية ستوفيل ، وما أن طلع صباح اليوم التالى حتى طلب تقارير رجال البوليس والشرطة لكى يتأكد من أنها لا تضم شيئا يحتمل أن تكون له علاقة بالقضية التى تشغله .

كان يقوم وحده، فى مكتبه، بعمل ضخم لم يكن قراء الجرائد وهم يتصفحون جرائدهم ويتابعون قضية ستوفيل متابعتهم

للقصص المسلسلة يدرون عنه شيئا ما .

وسرد عليه ميجريه فى كلمات وجيزة قصة السيدة ذات القبعة البيضاء والصبى الصغير وقال له :

- يمكنك أن تتصل تليفونيا ببوليس الدائرة التاسعة . أن جلوسها كل يوم على مقعد ميدان دانفر يجعلنا نعتقد أنها تقيم فى نفس الحى. فليبحثوا فى النواحى، واستجوبوا التجار والفنادق وأصحاب الغرف المفروشة .

البحث والتحرى ! ... فى الوقت العادى ، كان لوكاس يجد عشرة من المفتشين فى وقت واحد ، يدخنون ويكتبون التقارير ويقرأون الجرائد أو يلعبون الورق فى المكتب المجاور . أما الآن فكان من النادر أن ترى اثنين منهم فى وقت واحد فما يكاد أحدهم يقبل حتى يفتح «تورين العظيم» الباب ويسأله قائلاً :

- هل فرغت من عملك ؟ .. تعال لحظة .

ولا يلبث صاحبنا أن ينطلق وراء أثر جديد .

وقد بحثوا عن الحقيبة المختفية فى كل مخازن محطات السكك الحديدية . وعند تجار البضائع المستعملة .

كان لابوانت الشاب يفتقر إلى التجربة ، ولكنه كان شابا رزينا جادا لا يمكن أن يختلق قصة ما . وبناء على ذلك ، كانت هناك فى صباح يوم ٢١ فبراير فى ورشة ستوفيل حقيبة

لم تلبث أن اختفت حين ذهب لوكاس إلى الورشة فى الساعة الخامسة بعد الظهر .

ولكن بقدر ما يذكر الجيران ، لم يخرج ستوفيل من بيته فى ذلك اليوم ، ولم ير أحدهم فرناند تغادر البيت وفى يدها حقيبة أو شىء ما .

فهل أقبل أحدهم ليأخذ بعض الكتب المجلدة ؟ تحرى البوليس هذا الامر أيضا ، وقد اتضح أن سفير الارجنتين أرسل رسولاً ليأخذ مستندا أفلح ستوفيل فى تجليده تجليدا فاخرا ولكن المستند لم يكن ضخما ، وقد خرج الرسول وهو يحمله تحت ابطه .

وقضى مارتن ، وهو أكثر رجال البوليس علما وثقافة ، ما يقرب من أسبوع فى ورشة ستوفيل وهو يبحث بين الكتب ويدرس جميع الأعمال التى فرغ منها المجلد فى الشهر الاخير واتصل بالعملاء تليفونيا وقال أخيراً :

- أنه رجل عجيب . لديه نخبة ممتازة من العملاء . وهم جميعا يثقون به ، ويعمل بصفة خاصة مع سفارات كثيرة

ولكن لم يكن هناك أى غموض فى هذه الناحية كذلك وإذا كانت السفارات تعهد إليه بأعمالها فذلك لانه كان اختصاصيا فى جميع الشعارات ، ولأنه يملك عددا كبيرا من

الاكلشيهات لمختلف الشعارات مما يسمح له بتجليد الكتب أو المستندات لعدد كبير من السفارات .

– أرى أنك غير راض أيها الرئيس ، ولكن سينتهى بنا الامر إلى أن نخرج من كل هذا بشىء ما .

وكان لوكاس الشهم الذى لا يعرف الوهن يشير إلى اكداس الاوراق التى فوق مكتبه ويقول :

– أنهم عثروا على ضرسين فى غرفة التدفئة ، وهذان الضرسان لم يذهبا هناك وحدهما . وبعث أحدهم ببرقية من كونكارنو لاستدراج زوجة ستوفيل إليها . والسترة الزرقاء المعلقة بالدولاب بها دم بشرى حاول بعضهم ازالته عبثا . ومهما يفعل الاستاذ ليوتار أو يقول فان ذلك لن يغير من الأمر شيئا .

ولكن تلك الاوراق التى كان لوكاس يشير إليها كانت تثقل على القوميسير ، وكان ينظر إليها نظرة عابسة :

– فيم تفكر أيها الرئيس ؟

– فى لا شىء .. أننى متردد ...

– فى إطلاق سراحه ؟

– كلا ، فهذا شأن قاضى التحقيق .

– ولولا ذلك لاطلقت أنت سراحه ؟

- لا أدرى ... اننى ترددت فى الاهتمام بهذه القضية منذ البداية .

قال لوكاس فى شىء من الغيظ : هذا شأنك أنت .

- ولكن هذا لا يمنعك من الاستمرار فى عملك على العكس، فاننا لو تأخرنا أكثر من ذلك فاننا لن نجد انفسنا .. دائما نفس الامر ، فما أن تتدخل الصحافة حتى يسرع الجميع ويذكرون ما لديهم ، ونغرق نحن فى العمل .

- ومع ذلك فاننى اهتديت إلى السائق ، وسوف اهتدى إلى سائق مدام ميجريه هو الآخر .

حشى القوميسير غليونه من جديد وفتح الباب . لم يكن هناك أى مفتش . كانوا جميعهم فى مكان ما يهتمون بالفلمندى.

- هل استقر رأيك ؟

- أظن ذلك .

ولكنه لم يدخل مكتبه . بل غادر ادارة البوليس واستدعى سيارة أجرة وقال السائق :

- اذهب بى إلى ناصية شارعى تورين وجران بورجوا .

أما أهالى الحى أنفسهم فلم يسبق لهم أن شهدوا مثل هذا الحفل من قبل ، فقد ظهرت اسماؤهم كلهم ، الواحد بعد الآخر

فى الجرائد . كان يكفى أن يذهب التجار والعمال إلى مقهى تورين ليلتقوا برجال البوليس ، وإذا إجتازوا الشارع فى طريقهم إلى مطعم فوج الذى اشتهر بنبيذه الابيض التقوا برجال الصحافة .

سألوهم مرارا وتكرارا عن رأيهم فى ستوفيل وفى فرناند ، واستفسروا منهم عن حركاتهم وسكناتهم .

ولما لم تكن هناك جثة ، ولما لم يكن هناك غير سنتين فقط فلم تكن المسألة مأساوية ، وبدت القضية كأنها لعبة .

وهبط ميجريه من السيارة أمام مقهى تورين وألقى نظرة داخل المقهى فلم يجد به أحدا من رجال البوليس وخطا بضع خطوات وألفى نفسه أمام ورشة التجليد ، وكان بابها منذ ثلاثة أسابيع مغلقا ، ولم يكن هناك جرس ، فطرق الباب وهو يعرف أن فرناند لابد أن تكون بالداخل

كانت تخرج فى الصباح ، كل يوم ، منذ إلقاء القبض على فرانز كانت تخرج فى الساعة العاشرة ومعها ثلاثة أوعية يرتطم بعضها ببعض ، تضمها سلسلة حديدية تنتهى بقبضة

كان ذلك طعام زوجها ، وكانت تذهب به كل يوم إلى السجن راكبة الترام

واضطر ميجريه إلى أن يطرق الباب للمرة الثانية ، ورآها

تظهر في السلم الذى يربط الورشة بالطابق السفلى ، وعرفته ، وتحولت لكى تكلم شخصا غير منظور ، ثم تقدمت وفتحت الباب أخيرا .

كانت تلبس خفا منزليا وترتدى مئزرة ذات مربعات . وأن من يراها هكذا ، ممتلئة الجسم قليلا ولا تغطى وجهها بالاصباغ لا يمكن أن يعرف فيها تلك المرأة التى كانت تبدو عليها كل سمات ربة البيت الممتازة ، ولم يكن هناك شك فى أنها فى أوقاتها العادية ، امرأة مرحة ، بشوشة .

سألته فى شىء من الاعياء : هل تريد أن ترانى ؟

- هل معك أحد ؟

لم تجب . ومضى ميجريه إلى السلم وهبط بضع درجات ، وما كاد ينحنى حتى قطب حاجبيه .

كانوا قد حدثوه قبل ذلك عن وجود الفونسى فى النواحى . وكان هذا الأخير يتناول المشروبات مع الصحفيين فى مطعم فوج متحاشيا وضع قدميه فى مطعم تورين .

كان واقفا فى المطبخ حيث يطش شىء على النار ، وكان يبدو كما لو كان المكان مألوفا لديه . ومع أنه أحس بالارتباك إلا أنه ابتسم ابتسامة ساخرة للقوميسير . وقال هذا الأخير :

- ماذا تفعل هنا ؟

- كما ترى . أقوم بزيارة مثلك . هذا حقى . أليس كذلك ؟

كان الفونس يعمل فيما سبق فى البوليس الجنائى ، ولكن فى فرقة أخرى غير فرقة ميجريه . وكان قد انتمى لفترة طويلة إلى بوليس الآداب ، حيث قيل له أنه أصبح غير مرغوب فيه على الرغم من أنه كان يتمتع بحماية سياسية .

كان قصير القامة ، يلبس حذاء له كعب عال لكى يبدو طويلا ، ولعله كان يحشو حذاءه بالورق كما كان البعض يوعز بذلك ، وكان يرتدى دائما ثيابه فى عناية مبالغ فيها ويضع ماسة كبيرة فى أصبعه لم يكن أحد يدرى ان كانت حقيقية أو زائفة .

وقد أفتتح له فى شارع نوتردام دى لويت مكتبا للاستقصاءات والتحريات الخاصة كان هو صاحبه والموظف الوحيد به فى نفس الوقت ، لا تعينه غير سكرتيرة لم تكن فى الواقع غير عشيقة له . وكانت ترى معه ليلا فى الملاهى الليلية .

وعندما أبلغوا ميجريه بوجوده فى مقهى تورين حسب القوميسير فى بادىء الامر أن المفتش السابق يحاول تصيد بعض الأنباء ليبيعها للجرائد ولكنه لم يلبث أن اكتشف أنه يعمل لحساب فيليب ليوتار .

وكانت هذه أول مرة يلتقى به فيها فصاح به : اننى انتظر .
- ماذا ؟
- أن تغادر المكان .
- هذا أمر يدعو إلى الأسف لأننى لم أفرغ بعد .
- كما تشاء .
وتظاهر ميجريه بأنه يتجه نحو باب المحل فأسرع الآخر يقول:
- ماذا ستفعل ؟
- سأستدعى أحد رجالى وأصدر اليه تعليماتى بأن يتعقبك ليلا ونهارا ، وهذا عمل من حقى .
- حسنا . لا بأس . لا داعى للغضب يا مسيو ميجريه .
ومضى إلى السلم كما يفعل الاوباش وهو يغمز بعينه لفرناند.
وقال ميجريه :
- هل يكثر من المجىء ؟
- هذه هى المرة الثانية .
- أنصحك بأن تكونى منه على حذر .
- اننى أعلم .. فاننى أعرف هؤلاء الناس .
هل كانت تشير بقولها هذا إلى ذلك الوقت الذى كانت تتبع فيه بوليس الآداب ؟

- كيف حال ستوفيل ؟

- لا بأس .. أنه يقرأ طوال النهار .. وهو مطمئن .

- ما هى الكتب التى يقرأها الآن ؟

- أنه يعيد قراءة مؤلفات مارسل بروست كلها .

- وهل قرأتها أنت ؟

- نعم .

اذن فقد ثقف ستوفيل زوجته بعد أن انتشلها من حياة الليل.

- تخطئين اذا حسبت اننى آت لزيارتك كعدو . انك تعرفين الموقف مثلى تماما ... وأنا أريد أن أفهم ولكننى لم أفهم شيئا حتى الآن ... وأنت ؟

- أننى واثقة .

- هل تحبينه ؟

- هذه كلمة لا تعنى شيئاً .. يجب البحث عن كلمة أخرى غيرها لا وجود لها فى قاموس اللغة .

وكان قد صعد إلى الورشة حيث صفت فوق المنضدة ، أمام الفترينة ، أدوات التجليد . أما آلة الطباعة فكانت فوق المنضدة فى العتمة، وعلى الرفوف كتب تنتظر دورها فى التجليد .

- كانت له عادات منتظمة ، أليس كذلك ؟ .. أود أن تذكرى لى بقدر المستطاع كيف يقضى أيامه ؟

- سبق أن ألقوا على هذا السؤال .

- مـــن ؟

- الاستاذ ليوتار .

ألم يخطر لك أن مصلحة الاستاذ ليوتار قد لا تعنى مصلحتك أنت بالذات ؟ .. إنه لم يكن معروفا منذ ثلاثة أسابيع، وكل ما يبحث عنه هو احداث أكبر ضجة حول اسمه ولا يهمه في شيء أن يكون زوجك بريئاً أو مذنباً .

- عفوا .. إذا استطاع أن يثبت براءته فسيكون فى ذلك ذيوع صيته واستقرار سمعته .

- وإذا تمكن من اطلاق سراحه من غير أن يستطيع إثبات براءته فسيكون فى ذلك الدليل على خبثه ومكره ، وسيلجأ إليه الكثيرون وسيتكلمون عن زوجك فيقولون : « من حسن حظه أن ليوتار استطاع انقاذه » .. وبمعنى آخر فان ستوفيل سيبدو مذنبا، وستزداد بذلك قيمة ليوتار ، فهل تفهمين هذا ؟

- ان فرانز يفهم ذلك .

- هل قال لك ذلك ؟

- نعـــم .

- انه لا يحب ليوتار .. فلماذا اختاره ؟

- انه لم يختره وإنما ليوتار هو الذى ...

- لحظة واحدة .. انك نطقت الآن بشيء على جانب كبير من الاهمية .

- أعلم ذلك .

- هل تعمدت ذلك ؟

- ربما .. انني تعبت من كل هذه الضجة التى تثار حولنا ، وأعرف مصدر هذا كله . ولا أظن أننى أسيء إلى موقف فرانز بما أنطق به ..

عندما أتى البريجادير لوكاس للتفتيش يوم ٢١ فى نحو الساعة الخامسة لم ينصرف وحده وإنما اصطحب زوجك معه .

قالت عاتبة : وقد استجوبته أنت طوال الليل .

- هذه مهنتى . فى ذلك الوقت لم يكن ستوفيل قد أقام لنفسه محاميا بعد لانه لم يكن يعرف أنه سيبقى فى السجن ، ولم يطلق سراحه بعد ، ولم يأت هنا إلا برفقة المفتشين ، ولوقت قصير جدا . ولكننى عندما طلبت منه أن يوكل محاميا للدفاع عنه ذكر اسم الاستاذ ليوتار على الفور .

- أننى أفهم ما تعنيه .

- معنى هذا أن المحامى رأى ستوفيل هنا قبل أن يأتى البريجادير .

- نعـــم .

- وقد تم ذلك بعد ظهر يوم ٢١ بين زيارة لابوانت والبريجادير ؟

- نعم .

- هل حضرت هذه المقابلة ؟

- كلا . كنت تحت ، أقوم بمهام البيت لأننى كنت قد تغيبت ثلاثة أيام ...

- ألا تعرفين ما دار بينهما من حديث ؟ .. ألم يكن يعرف أحدهما الآخر قبل ذلك ؟

- كـــلا .

- ألم يتصل زوجك به تليفونيا لكى يستدعيه ؟

- لا أظن ذلك .

وكان بعض صبية الحى قد تجمعوا وألصقوا جباههم بفترينة المحل .

وقال ميجريه :

- ألا تفضلين أن نهبط تحت .

وتقدمته إلى المطبخ ، ودلفا إلى الغرفة التى لا نوافذ لها . وكانت غرفة صغيرة نظيفة تدل على ذوق سليم ، بجدرانها رفوف مصفوفة بالكتب ، وبها مائدة صغيرة للطعام ، وفى أحد أركانها منضدة صغيرة تستخدم كمكتب .

- سألتنى كيف يقضى يومه .. إنه يغادر فراشه كل يوم ، فى السادسة صباحا صيفا وشتاء .. وأول همه فى الشتاء هو ادارة جهاز التدفئة .

- ولماذا لم يكن الجهاز دائرا يوم ٢١ ؟

- لم يكن الجو شديد البرودة .. كان الثلج قد تساقط اياما متعاقبة ولكن الطقس تحسن بعد ذلك ، ولست أنا ولا هو ممن يتأثرون من البرد بسرعة . ثم أن بالمطبخ موقد بالغاز يبعث ما يكفى من الدفء ، وفى الورشة موقد آخر يستخدمه فرانز فى أغراض التجليد . وقبل أن يغتسل كان يمضى فيشترى بعض الفطير من المخبز بينما أقوم أنا باعداد القهوة ، ثم نتناول طعام الإفطار .

« ثم يغتسل بعد ذلك ويباشر عمله على الفور . وكنت أغادر البيت فى الساعة التاسعة بعد أن أفرغ من الجزء الأكبر من عملى ، لكى اشترى ما أحتاج إليه من السوق .

- ألم يكن يخرج لتسليم ما يفرغ منه من المجلدات ؟

- كان يخرج نادرا ، فقد كان عملاؤه يأتونه بالكتب ثم يعودون لاستردادها . وعندما كان يضطر إلى الخروج كنت أرافقه، وكانت هذه هى المرات القليلة التى كنا نخرج فيها .

« ثم نتناول طعام الغداء فى منتصف الساعة الواحدة » .

- وهل كان يعود إلى مزاولة عمله بعد الفراغ من الغداء مباشرة ؟

- تقريبا . ولكن بعد أن يقف لحظة بباب المحل ريثما يدخن سيجارة لانه لم يكن يدخن أثناء العمل .

« وكان يستمر فى عمله حتى الساعة السابعة . وأحيانا حتى السابعة والنصف . ولم أكن أعرف فى أية ساعة نتناول طعام العشاء أبدا ، لانه كان يصر على أن يفرغ مما فى يديه قبل ذلك ، ثم يغلق الباب عندئذ ويغسل يديه . وبعد أن نفرغ من تناول العشاء كنا نقرأ فى هذه الغرفة حتى العاشرة أو الحادية عشرة .

وذلك فيما عدا مساء الجمعة حيث كنا نذهب إلى سينما سان بول .

- ألم يكن يشرب الخمر ؟

- كان يشرب كأسا واحدة كل ليلة ، بعد العشاء . كأسا صغيرة كانت تبقى أمامه ساعة كاملة لانه لم يكن إلا ليبل شفتيه كل مرة .

- وفى يوم الأحد ؟ .. هل كنتما تذهبان إلى الريف ؟

- ابدا . كان يكره الريف. كنا نقضى الوقت كله في البيت. وكان يحاول القيام بكل شيء، فهو الذى صنع هذه الرفوف ،

وهو الذى قام بكل الاعدادات الموجودة في البيت . وكنا نخرج بعد الظهر نتمشى فى حى جران بورجوا وفى جزيرة سان لويس ونتناول العشاء فى أغلب الأوقات فى مطعم صغير بجوار الجسر .

- هل هو بخيل ؟

اضطرم وجهها وترددت قبل أن ترد بسؤال آخر ، كما يفعل المرء حين يرتبك :

- لماذا تسألنى ؟

- أنه يشتغل منذ أكثر من عشرين عاما ، أليس كذلك ؟

- إنه اشتغل طوال عمره . كانت أمه فقيرة . وكان بائسا فى طفولته .

ومع ذلك فهو يعتبر من أغلى المجلدين فى باريس ، ويرفض الطلبات ولا يسعى إليها .

- هذا صحيح .

- وكان يمكنكما أن تعيشا عيشة مريحة بما يجنيه وإن تسكنا مسكنا حديثا ، بل كان في مقدوركما اقتناء سيارة .

- لسنا بحاجة إلى شيء .. ثم اننا نتناول ما لذ وطاب من الطعام .

- لا ريب أنكما لا تنفقان نصف ما يجنيه .

– اننى لا أهتم بالمسائل المالية .

– أكثر الرجال يشتغلون للوصول إلى هدف معين ، فبعضهم يشتهون بيتا فى الريف والبعض يحلمون باعتزال العمل ، والآخرون يكرسون أنفسهم من أجل أولادهم .. ألم يكن له أولاد .

– لا أستطيع الانجاب لسوء الحظ .

– وقبل أن يتزوجك ؟ ..

– كلا .. لم يكن متزوجاً .. وكات يكتفى بما تعرفه أنت ، وقد التقى بى بهذه الطريقة .

– وماذا يفعل بنقوده .

– لا أدرى .. لا ريب أنه يستثمرها .

والواقع أنهم وجدوا حسابا باسمه فى أحد البنوك .. كان يودع به كل أسبوع مبالغ غير جسيمة وتتفق مع تلك التى يجنيها من عمله .

– كان يشتغل حبا فى العمل .. إنه رجل فلمندى ، وقد بدأت أفهم معنى هذا ، فانه كان يقضى الساعات الطويلة يعالج مجلدا واحدا لكى يخرج من بين يديه عملا متقنا .

كان الامر غريبا ، كانت تتكلم عنه أحيانا بصيغة الماضى كما لو أن جدران السجن قد عزلته عن العالم ، وأحيانا بصيغة

الحاضر ما لو أنه سيعود ما بين لحظة وأخرى .

- هل بقى على صلة بعائلته ؟

- إنه لم يعرف أباه قط ، وقد رباه عم له عهد به فى حداثته إلى الملاجىء الخيرية ، وكان هذا من حسن حظه لانه تعلم مهنته هذه هناك كانوا يقسون فى معاملته فى الملجأ ، ولم يكن يحب أن يشير إلى هذه الحقبة من حياته .

لم يكن هناك منفذ آخر للمسكن غير باب المحل . ولبلوغ الفناء كان لابد من الخروج إلى الشارع واجتياز القبة ، أمام غرفة البواب .

وكان من الأمور العجيبة فى إدارة البوليس الاستماع إلى لوكاس وهو ينطق بكل هذه الاسماء التى كانت تختلط على ميجريه ، فهناك مدام سالازار ، البوابة والآنسة بيجان التى تقيم بالدور الرابع ، والاسكافى وتاجر المظلات ، وبائعة البن وخادمتها . كان يتكلم عن كل هؤلاء كما لو كان يعرفهم منذ وقت طويل ، وكان يذكر عادات كل واحد منهم على حدة .

- ماذا تعدين له الطعام غدا ؟

- يخنى بلحم الضأن ، فهو يحب الطعام الجيد ، ويبدو أنك كنت تريد أن تسأل منذ قليل عن هويته فيما عدا العمل .. ان هويته الوحيدة هى الأكل بالتأكيد ، وعلى الرغم من أنه كان

يقضى طوال اليوم جالسا ، ومن أنه لم يكن يقوم بأية تمارين رياضية فاننى لم أر رجلا له مثل شهيته .

- ألم يكن له أصدقاء قبل أن يعرفك ؟

- لا أظن . إنه لم يحدثنى أبدا فى هذا الموضوع .

- هل كان يقيم هنا فى ذلك الوقت ؟

- نعم . وكان يخدم نفسه . وكانت مدام سالازار تأتى مرة كل أسبوع لتنظيف البيت . ولعل السبب فى أنها لم تشعر نحوى بأى ميل أبدا يرجع إلى أنه لم يعد يحتاج إليها .

- هل يعرف الجيران ؟

- هل تعنى أن كانوا يعرفون ماذا كنت أفعل قبل أن يتزوجنى ؟ ..

كلا . أو بمعنى اصح لم يكن أحد منهم يعرف شيئا عن ذلك قبل القاء القبض عليه ، فقد تحدثت الجرائد عن الموضوع .

- هل فترت معاملتهم لك ؟

- بعضهم . ولكن فرانز كان محبوبا بحيث أنهم يميلون الآن إلى الرثاء علينا

- ماذا كان الفونسى يريد ؟

- لم يسعفه الوقت لكى يعرب لى عن ذلك. كان قد جاء لتوه عندما قدمت أنت. ولست أحب طريقته فى القدوم إلى هنا

كما لو كان يأتى إلى محل عام وقبعته فوق رأسه . ولا أحب كذلك أن يخاطبنى باسمى المجرد رافعا كل كلفة . لو أن فرانز كان هنا لالقاه خارج البيت على الفور .

– أهو غيور ؟

– انه لا يحب رفع الكلفة .

– هل يحبك ؟

– أظن ذلك .

– لـــــماذا ؟

– لا أدرى . ربما لاننى احبه .

لم يبتسم . ولم يكن قد احتفظ بقبعته فوق رأسه كما فعل الفونسى ، ولم يقس فى معاملته لها أو يمكر عليها .

والواقع أنه كان يبدو فى هذه الغرفة التحتية كرجل يحاول أن يفهم بكل صدق وشرف .

– لن تقولى شيئا من شأنه أن ينقلب ضده طبعا ؟

– كلا، بالتأكيد. ثم إنه ليس لدى ما أذكره فى هذا الصدد.

– ومع ذلك فان من الواضح أن رجلا ما قتل فى هذه الغرفة

– ان الخبراء يؤكدون ذلك ، وليس لدى معلومات كافية لكى أخالفهم . وعلى كل حال فان فرانز لم يقتل احداً .

– ولكن يبدو أن من المحال أن يكون ذلك قد حدث دون علمه

– أننى أعرف ما تريد أن تقول، ولكننى أعود فأقول انه برىء.

نهض ميجريه وهو يتنهد . كان مسرورا لانها لم تقدم له أى مشروب كما يظن أكثر الناس انه لابد لهم أن يفعلوا فى مثل هذه الظروف . واعترف قائلاً :

– اننى أحاول أن أبدأ من جديد . كانت نيتى وأنا قادم هنا أن افتش المكان شبرا شبرا .

– أولا تريد أن تفعل الآن ؟ .. انهم قلبوا كل شىء أكثر من مرة .

– ليست لدى الجرأة . قد أعود فيما بعد . قد احتاج إلى استجوابك من جديد .

– أنك تعرف أننى أعيد على فرانز كل ما يقع عندما أزوره.

– نعم . اننى أفهمك .

ومضى إلى السلم الضيق . وتبعته إلى الورشة التى اصبحت معتمة ، وفتحت له الباب . ورأى كل منهما الفونسى ينتظر فى آخر السارع .

– هل تستقبلينه من جديد ؟

– اننى اتساءل .. فاننى متعبة .

– هل تريدين أن أصدر إليه أمرى بأن يدعك وشأنك ؟

- الليلة على كل حال .

- طابت ليلتك .

ردت إليه تحيته . مشى فى تثاقل نحو المفتش السابق بادارة بوليس الآداب . وعندما لحق به فى آخر الشارع كان هناك صحفيان يراقبان من خلال زجاج مقهى فوج .

- امض .

- لماذا ؟

لاشىء . لانها لا تريد أن تزعجها ثانيا الليلة . هل تفهم؟

- لماذا تقسو على هكذا ؟

لان وجهك لا يروق لى ، وهذا كل شىء .

وأولاه ظهره ، وإنساق مع التقليد المتبع فدخل مقهى تورين لكى يتناول كأسا من البيرة .

(٣)

الغرفــة المفروشــة

كانت الشمس لاتزال تسطع ولكن بشىء من البرودة والجفاف يجعل البخار يتصاعد من بين الشفاه ويجمد أطراف الأصابع . ومع ذلك فقد وقف ميجريه بجوار سائق الأوتوبيس يزمجر تارة ويبتسم أخرى على الرغم منه وهو يقرأ جريدة الصباح .

كان قد هبط من بيته مبكرا ، ولم تكن الساعة قد بلغت الثامنة والنصف بعد عندما دخل مكتب المفتشين . وكان جانفييه جالسا فوق أحد المكاتب يقرأ الجريدة بصوت مرتفع فما كاد يراه حتى هبط عن المكتب مسرعا وهو يحاول اخفاء الجريدة.

كانوا خمسة من المفتشين أو ستة ، وكانوا كلهم من الشبان ينتظرون أن يعهد لوكاس إليهم بعمل اليوم . وتجنبوا النظر إلى القوميسير ، وان كان بعضهم قد راحوا يختلسون النظر إليه وهم يحاولون الاحتفاظ بهدوئهم بشق النفس .

وما كان بمقدورهم أن يعرفوا أن المقال قد أطربه بقدر ما أطربهم وأنه رأى أن يرضيهم متظاهرا بالسخط والحنق كما كانوا يتوقعون منه ذلك .

كان العنوان يشغل ثلاثة أعمدة من الصفحة الأولى ، وكان هذا نصه :

« مغامرة مزعجة لمدام ميجريه »

وسردت الجريدة المغامرة التى وقعت لزوجة القوميسير أمس بميدان دانفر بكل تفاصيلها، ولم يكن ينقصها إلا صورة مدام ميجريه نفسها وصورة الطفل الذى تركته السيدة الغامضة معها.

ودفع باب لوكاس ، وكان قد قرأ المقال هو الآخر ، ولكن كان لديه من الاسباب ما يحمله على النظر إلى الأمر بجدية أكثر.

– أرجو ألا تكون حسبت أن هذا الخبر قد تسرب منى ، فاننى دهشت هذا الصباح وأنا افتح الجريدة . والواقع اننى لم اتحدث مع أى صحفى ، فاننى ، بالامس ، وبعد لحظات قلائل من حديثى معك اتصلت تليفونيا بلامبال بالدائرة التاسعة ، ورويت له القصة ولكن من غير أن أذكر له أن الأمر يتعلق بزوجتك ، وكلفته بأن يبحث عن سيارة الأجرة . وبهذه المناسبة، أخبرنى الآن بأنه وجد السائق المذكور بصدفة عجيبة وهو يبعث به إلينا ، وسيكون هنا بعد بضع دقائق .

– هل كان بمكتبك أحد عندما تكلمت مع لامبال .

– على الارجح .. فالمكتب لا يخلو أبدا، ثم أن باب مكتب

المفتشين كان مفتوحا .. ولكن من منهم ؟ .. انه ليروعنى أن أفكر أن هناك من ينقل المعلومات .

– اننى شككت فى ذلك أمس ، فقد تسربت بعض الأنباء من هنا يوم ٢١ فبراير ، لانك عندما ذهبت إلى شارع تورين لتفتيش بيت المجلد كان فيليب ليوتار على علم بذلك .

– ومن الذى أخبره ؟

– لا أدرى . لا يمكن أن يكون قد علم بذلك إلا عن طريق شخص ما من إدارة البوليس .

– ألهذا السبب أختفت الحقيبة عندما ذهبت هناك ؟

– احتمال كبير .

– إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يخفوا البدلة الملوثة بالدم هى الاخرى .

– ربما نسوا أمرها أو ربما خطر لهم أننا لن نتمكن من تحديد طبيعة البقع ، ولعل الوقت لم يسعفهم لذلك .

– أتريد أن استجوب المفتشين أيها الرئيس ؟

– سأتولى أنا ذلك .

ولم يكن لوكاس قد فرغ بعد من فض البريد المكدس فوق المنضدة الكبيرة التى اتخذها مكتبا له .

– هل هناك ما يستحق الاهتمام ؟

- لا ادرى بعد . يجب أن أتحقق . هناك معلومات كثيرة عن الحقيبة بالذات .. رسالة من غير توقيع تقول أنها مازالت موجودة بشارع تورين ، وأننا لابد أصبنا بالعمى حتى لم نرها . وأخرى تقول أن عقدة القضية فى كونكارنو . ورسالة من خمس صفحات بخط دقيق يقول صاحبها ، مدعما قوله بالأدلة والأسانيد أن الحكومة هى التى اختلقت القصة من أولها لتحول اهتمام الناس عن غلاء المعيشة .

مضى ميجريه إلى مكتبه وخلع قبعته ومعطفه ، وعلى الرغم من اعتدال الجو فقد ملأ بالفحم المدفأة الوحيدة التى مازالت موجودة بادارة البوليس والتى وجد صعوبة كبيرة فى الاحتفاظ بها عند ادخال التدفئة الكهربائية .

وفتح باب مكتب المفتشين ونادى الشاب لابوانت ، وكان قد قدم لتوه ، وقال له :

- إجلس .

وأغلق الباب بعناية كبيرة ثم طلب من الشاب للمرة الثانية أن يجلس ، ودار حوله مرة أو مرتين وهو يرميه بنظرات غريبة ثم سأله قائلاً :

- هل أنت طموح ؟

- نعم يا سيدى القوميسير.. أود أن أنجح مثلك وهذا غرور

طبعا .. أليس ذلك ؟

- هل أهلك أثرياء ؟

- كلا . ان أبى موظف بأحد المصارف بمولان ، وقد لقى مشقة كبيرة فى تربيتنا ، أنا وأخوتى ، بما يليق .

- هل أنت عاشق ؟

لم يضطرم وجه الشاب وقال : كلا . ليس بعد ... فأنا مازلت فى الرابعة والعشرين ، ولا أريد أن أتزوج قبل أن أضمن مستقبلى .

- هل تعيش وحدك فى غرفة مفروشة ؟

- كلا . لحسن الحظ ، فان أختى الصغيرة جرمين تعيش فى باريس ، هى الأخرى . وهى تعمل باحدى دور النشر فى الضفة الشمالية . ونحن نعيش معا . وفى المساء ، يسمح لها وقتها بأن تعد طعامنا .. ففى هذا شىء من الوفر .

- هل لها عاشق ؟

- انها مازالت فى الثامنة عشرة من عمرها .

- عندما ذهبت إلى شارع تورين أول مرة ، هل عدت هنا على الفور ؟

احمر وجهه فجأة وتردد لحظة طويلة قبل أن يرد ويقول : كلا. كنت فخورا وسعيدا لاننى اكتشف شيئا بحيث أخذت

سيارة أجرة وأسرعت إلى شارع دوباك لكى أخبر جرمين بما حدث.

- حسنا يا صغيرى .. شكرا لك .

انزعج لابوانت . وبدا عليه القلق وتردد فى الخروج وقال : لماذا سألتنى ؟

- أنا الذى اسأل ، أليس كذلك ؟ .. أما أنت فربما تلقى الاسئلة بدورك ، فيما بعد . هل كنت موجودا فى مكتب البريجادير لوكاس أمس ، عندما أتصل بالدائرة التاسعة ؟

- كنت فى المكتب المجاور ، وكان الباب مفتوحا .

- فى أية ساعة تحدثت مع أختك ؟

- وكيف عرفت ذلك ؟

- أجب .

- إنها تفرغ من عملها فى الساعة الخامسة ، وقد انتظرتنى كما يحدث غالبا فى بار « لاجروس هورلوج » ، وتناولنا كأسا من الشراب قبل أن نعود إلى البيت .

- ألم تفارقها فى تلك الليلة ؟

- إنها ذهبت إلى السينما مع صديقة لها .

- وهل رأيت الصديقة ؟

- كلا . ولكننى أعرفها .

وقد أراد القوميسير أن يفسر له السبب فى هذا الاستجواب.

ولكن نمى إلى علمه فى هذه اللحظة بالذات أن سائق سيارة أجرة يريد أن يراه . وكان رجلا ضخماً ، أحمر الوجه ، فى الخمسين من عمره ، لا ريب أنه كان حوذيا فى شبابه ، ويبدو من الرائحة التى تنبعث من فمه أنه تناول بضعة كئوس من النبيذ قبل قدومه .

– قال لى المفتش لامبال أن آتى اليك بخصوص السيدة الصغيرة .

– كيف عرفت أنك أنت الذى ركبت معه السيدة ذات القبعة البيضاء .

– اننى أقف عادة فى ميدان بيجال ، وقد أتى لكى يتحدث معى مساء أمس ، وسأل الجميع ، وأخبرته بأننى أنا الذى أوصلتها .

– فى أية ساعة ؟ ... وأين ؟ ..

– كان ذلك حوالى الساعة الواحدة ، وكنت قد فرغت من تناول طعامى فى مطعم شارع ليبيك . وكانت سيارتى بالباب . ورأيت رجلا وأمرأة يخرجان من الفندق المقابل ، وقصدت المرأة سيارتى على الفور ، وبدا عليها الكدر عندما رأت الراية السوداء فوق العداد . وكنت قد تناولت كأسا من النبيذ بعد أن فرغت من القهوة فنهضت وصحت بها أن تنتظر .

- وكيف كان زميلها ؟

- رجل بدين الجسم ، قصير ، أنيق الثياب ، يبدو أجنبيا ، بين الأربعين والخمسين من عمره . ولكنني لا أدرى بالضبط ، فانني لم أمعن النظر اليه . فقد كان موليا ظهره لى ، وكان يتحدث معها بلغة أجنبية .

- أية لغة .

- لا أدرى .

- وما هو العنوان الذى ذكرته لك .

- كانت شديدة الانفعال ، نافدة الصبر ، طلبت أن اذهب أولا إلى ميدان دانفر وان ابطىء . وكانت تنظر من باب السيارة . وقالت لى عندئذ « قف لحظة ثم انطلق بمجرد أن أقول لك ذلك » وأشارت بيدها فدنت منها امرأة متقدمة فى السن وبرفقتها طفل صغير ، وفتحت السيدة الباب وأركبت الطفل معها ثم طلبت منى أن أنطلق .

- ألم يبد لك هذا الأمر كما لو كان اختطافا ؟

- كلا. لانها تحدثت مع المرأة . تبادلت معها بضع كلمات، وبدا على هذه الاخيرة الارتياح.

- وأين ذهبت بالام والطفل ؟

- إلى بوابة نولى فى البداية ، وهناك غيرت رأيها وطلبت

منى أن أمضى بها إلى محطة سان لازار .

- وهل نزلت هناك ؟

- كلا . وإنما أوقفتنى فى ميدان أوجستان ، وقد اضطررت أن انتظر لحظة بسبب الزحام ، وأستطعت أن أرى من خلال المرآة أنها استقلت سيارة أجرة أخرى لم أتمكن من التقاط رقمها .

- وهل أردت ذلك ؟

- بسبب العادة ، فقد كانت شديدة الانفعال ، ولم يكن أمراً طبيعيا أن تطلب منى أن أذهب إلى محطة سان لازار بعد أن مضيت بها إلى بوابة نولى ، وأن تهبط فى ميدان سان أوجستان لكى تستقل سيارة أجرة أخرى .

- هل تحدثت مع الطفل فى الطريق ؟

- خاطبته بعبارة أو عبارتين لكى يلزم الهدوء . هل هناك مكافأة ؟

- ربما لست أدرى بعد .

- ذلك أن اليوم ضاع منى .

اعطاه ميجريه ورقة مالية. وبعد دقائق كان يدفع باب غرفة

مدير البوليس الجنائى حيث بدأ «تقريره» . وكان رؤساء الاقسام مجتمعين حول المكتب الكبير ، يتحدثون فى هدوء عن الاعمال الجارية .

– وأنت يا ميجريه ؟ ... ماذا تم بخصوص ستوفيل ؟

كان واضحا من ابتساماتهم انهم قرأوا مقال الصباح .ومرة أخرى ، ولكى يطربهم تظاهر بالسخط والغضب .

وكانت الساعة قد بلغت التاسعة والنصف ، وارتفع صليل جرس التليفون فرد المدير ، وناول السماعة لميجريه وهو يقول :

– تورينس يريد أن يتحدث إليك .

وكان صوت تورينس فى آخر الخط يتهدج من الانفعال أهذا أنت أيها الرئيس ؟ .. ألم تعثر على السيدة ذات القبعة البيضاء ... جاءت جريدة باريس وقرأت المقال ، والوصف ينطبق على امرأة اهتديت إلى أثرها هنا .

– تكلم .

– عندما رأيت انه ليس هناك سبيل مع موظفة البريد التى تزعم أنها لا تتذكر شيئا ، رحت أبحث فى الفنادق والغرف المفروشة ، واستجوب أصحاب الجاراجات وموظفى المحطة .

– حسناً ؟

– لسنا فى موسم الاصطياف بعد، وأغلب الذين يأتون إلى

كونكارنو من سكان المنطقة أو من التجار المعروفين و . .

-- أوجز .

ذلك لان الحديث كان قد إنقطع حوله .

- خطر إلى أنه إذا كان قد قدم أحد من باريس أو من أى مكان آخر لكي يرسل البرقية من هنا ..

- تصور أننى فهمت ما تريد أن تقول .

- حسنا . هناك سيدة ترتدى تاييرا أزرق وقبعة بيضاء جاءت هنا في نفس الليلة التى أرسلت فيها البرقية ، وهبطت من القطار فى الساعة الرابعة ، وقد أرسلت البرقية فى الخامسة والربع .

- هل كان معها حقائب ؟

- كلا . انتظر انها لم تذهب إلى الفندق .. هل تعرف مطعم «الكلب الاصفر» فى آخر الرصيف ؟ .. أنها تناولت العشاء فيه ، ثم لبثت جالسة فى مقعد بقاعة المقهى حتى الساعة الحادية عشرة ... أى أنها عادت بقطار الحادية عشرة والدقيقة الاربعين.

هل تأكدت من ذلك ؟

-- لم يسعفنى الوقت بعد . ولكننى واثق من ذلك ، لانها غادرت المقهى فى الوقت المناسب، وطلبت دليل السكة الحديدية

بعد أن فرغت من عشائها على الفور .

– هل تبادلت الحديث مع أحد ما ؟

– مع الجرسونة فقط .. وظلت تقرأ دون انقطاع ، حتى وهى تأكل .

– ألم تستطع أن تعرف أى نوع من الكتب كانت تقرأ .

– كلا . إن الجرسونة تقول أنها تتكلم بلكنة غريبة ، ولكنها لا تعرف كنهها بالتدقيق . ماذا يجب أن أفعل ؟

– عد إلى موظفة البريد طبعا .

– وبعد ذلك ؟

– كلمنى فى التليفون أو كلم لوكاس إذا لم أكن بالمكتب ثم عـــد .

– حسنا أيها الرئيس . هل تظن أنها هى ؟

أعاد ميجريه السماعة . وفى عينيه وميض المرح ثم قال : لعل مدام ميجريه هى التى ستقودنا إلى مفتاح القضية . هل تسمع يا سيدى المدير ؟ أريد أن أقوم بنفسى ببعض التحريات العاجلة .

ولحسن الحظ كان لابوانت لايزال فى مكتب المفتشين . وكان بادى الانزعاج ، فقال له :

– تعال معى .

واستقلا احدى سيارات الاجرة التى تقف أمام الادارة . وكان لابوانت الشاب لايزال منزعجا ، فقد كانت هذه أول مرة يأخذه القوميسير معه بهذه الطريقة .

– ناصية شارعى بلانش وليبيك .

وكان حى مونمارتر وشارع ليبيك يزدحمان عادة فى مثل هذه الساعة بعربات الباعة المتجولين الذين يبيعون الثمار والخضروات، والذين يقفون على جانبى الطريق . ورأى ميجريه المطعم الصغير الذى تناول فيه السائق غذاءه وأمامه فندق بوسيجور ، ولم يكن ظاهرا منه غير بابه الضيق ، بين محل للجزارة ومحل للبقالة .

« غرف للايجار بالشهر والاسبوع واليوم
اسعار معتدلة »

وكان هناك باب زجاجى فى آخر الدهليز ، ثم سلم فوقه لافتة مكتوب عليها كلمة « مكتب » ويد مرسومة بالاسود تشير إلى أعلى السلم .

وكان المكتب يقع فى دور منخفض فوق الدور الأرضى ، وهو عبارة عن غرفة ضيقة تطل على الشاطىء بها لوحة معلق عليها بعض المفاتيح :

وصاح : أما من احد .

وأعادت الرائحة إلى ذاكرته ذلك الوقت الذى كان فيه فى مثل سن لابوانت تقريبا والذى كان يعمل فيه فى بوليس الغرف المفروشة حيث كان يقضى أيامه فى الطواف بالغرف المفروشة . كانت تلك الرائحة عبارة عن رائحة الغسيل والعرق فى نفس الوقت ، ورائحة السرائر التى لم ترتب بعد وجرادل الماء والطبيخ الذى يعد على مواقد الغاز .

وظهرت بأعلى السلم امرأة شقراء وصاحت : ما الخبر ؟

ولكنها لم تلبث أن أدركت على الفور أنها أمام البوليس فقالت فى غلظة :

- اننى قادمة .

وقضت بعضا من الوقت وهى تمشى فوق وتنقل الجرادل والمكانس ، وهبطت أخيرا وهى تزرر مئزرتها على صدرها البارز ، واتضح عن كثب أن شعرها أبيض تقريبا عند الجذور .

- ما الخبر ؟ ... انكم فحصتم دفاترى أمس وليس لدى غير نزلاء عاديين ، ولكنكما لستما من بوليس الغرف المفروشة . أليس كذلك ؟

ومن غير أن يرد وصف لها بقدر ما سمحت له شهادة السائق رفيق السيدة ذات القبعة البيضاء وقال :

- هل تعرفينه ؟

- ربما . لست واثقة .. ما أسمه .

- هذا ما أريد أن أعرفه منك أنت بالذات .

- هل تريد أن ترى السجل ؟

- بل أريد أن أعرف أولا إذا كان لديك نزيل يشبهه .

- لا أرى غير مسيو ليفين .

- ومن هو ؟

- لا أدرى .. إنه رجل لا غبار عليه .. دفع اسبوعا مقدما على كل حال .

- أما زال هنا ؟

- كلا . إنه غادرنا أمس .

- وحده ؟

- مع الطفل بالطبع .

- والسيدة ؟

- هل تعنى الممرضة ؟

- لحظة . سوف نبدأ من البداية ، وبهذا نكسب بعض الوقت.

- هذا أفضل، لاننى مشغولة جدا . ماذا فعل مسيو ليفين؟

- أجيبى على اسئلتى .. متى أقبل ؟

- منذ أربعة أيام . ويمكنك أن تتحقق من السجل . قلت له

انه ليست لدى غرف شاغرة ، وكان هذا صحيحا ، ولكنه أصر فسألته عندئذ كم يوما يريد أن يبقى فأجابنى بأنه سيدفع أسبوعا مقدما .

– وكيف استطعت ايواءه وليست لديك غرفة شاغرة .

كان ميجريه يعرف الرد ، ولكنه أراد أن يسمعه منها ، ففى مثل هذه الفنادق يحتفظون فى أغلب الأوقات ببعض غرف الدور الأول للعشاق وطلاب اللذة الذين يقضون فيها بعض لحظات لا تتجاوز الساعة .

وأجابت المرأة مستخدمة الاصطلاح المعروف : هناك دائما بعض الغرف نحتفظ بها للطوارىء .

– وهل كان الطفل معه ؟

– لم يكن معه فى ذلك الوقت . ولكنه مضى لكى يأتى به ، وعادا بعد ذلك بساعة . وقد سألته كيف سيتصرف ومعه هذا الطفل فأجابنى بأن ممرضة من معارفه ستعنى به الجزء الأكبر من اليوم .

– هل أراك جواز سفره وبطاقته الشخصية ؟

كان يجب ، طبقا للقانون أن تطلب منه هذه المستندات ، ولكنها لم تفعل طبعا . وقالت :

– انه ملأ بطاقته بنفسه ، وقد رأيت على الفور أنه رجل

محترم ، ولا أظن أنك ستخلق لى متاعب لهذا السبب .

- كلا . ماذا كانت ترتدى الممرضة ؟

- تاييرا أزرق .

- وقبعة بيضاء ؟

- نعم . كانت تأتى فى الصباح فتعنى بالطفل ثم تخرج به.

- ومسيو ليفين ؟

- كان يبقى فى غرفته حتى الحادية عشرة أو حتى الظهر ، وأظن أنه كان يعود فينام من جديد ثم يخرج ولا أراه بعد ذلك طوال النهار .

- والطفــل ؟

- ولا الطفل كذلك . لم أكن أراهما قبل الساعة السابعة مساء . وكانت هى التى تعود به وتعنى به إلى أن ينام وكانت تستلقى بثيابها فوق الفراش وتنتظر عودة مسيو ليفين .

- ومتى كان يعود ؟

- ليس قبل الواحدة صباحا .

- وهل كانت تنصرف عندئذ ؟

- نعـــم .

- ألا تعرفين أين تقيم ؟

- كلا . كل ما أعرفه أنها كانت تستقل سيارة أجرة عند

خروجها لانني رأيتها تفعل ذلك .

- هل كانت وثيقة الصلة به ؟

- أتريد أن تعرف إن كان يعاشرها معاشرة الازواج ؟ لست متأكدة . ولكن طبقاً لبعض الدلائل أظن أن هذا قد حدث ...

- وما هي الجنسية المسجلة على بطاقته ؟

- الفرنسية . قال لي أنه في فرنسا منذ مدة طويلة ، وإنه تجنس بالجنسية الفرنسية .

- ومن أين أتى ؟

- لا أتذكر . أن زميلك ببوليس الغرف المفروشة أخذ البطاقات أمس ، كما يفعل كل يوم ثلاثاء .. أظن أنه من بوردو على ما أعتقد .

- وماذا حدث ظهر أمس ؟

- ظهر أمس ؟ .. لا أدري .

- وفي الصباح ؟

- أقبل شخص فطلبه في الساعة العاشرة . وكانت السيدة قد خرجت بالطفل منذ وقت طويل .

- ومن ذلك الشخص ؟

- لم أسأل عن اسمه .. رجل زري الهيئة ، رث الثياب .

- فرنسي ؟

- بالتأكيد . وقد ذكرت له رقم الغرفة .
- ألم يسبق له أن أتى قبل ذلك ؟
- لم يأت إليه أحد فيما عدا الممرضة .
- هل كان يتكلم بلهجة أهل الجنوب ؟
- بل كانت له لهجة الباريسيين . أنه واحد من هؤلاء الرجال الذين يعترضون طريقك لكى يبيعونك صورا خليعة أو لكى يمضوا بك إلى مكان موبوء .
- وهل بقى مدة طويلة ؟
- إنه بقى وحده فى حين غادر مسيو ليفين الغرفة .
- ومعه أمتعته ؟
- كيف عرفت ذلك؟ لقد ادهشنى أن ينصرف حاملا أمتعته.
- وهل كانت كثيرة ؟
- اربع حقائب .
- سمراء ؟
- ان أكثر الحقائب سمراء ، أليس كذلك ؟ .. كانت من النوع الجيد على كل حال ، منها حقيبتان من الجلد الحقيقى .
- وماذا قال لك ؟
- إنه مضطر إلى الرحيل عاجلا ، وأنه سيغادر باريس فى نفس اليوم، ولكنه سيعود فيما بعد لكى يأخذ حاجيات الطفل .

- ومتى عاد ؟

- بعد ذلك بنحو ساعة ، وكانت السيدة معه .

- ألم يدهشك ألا ترى الطفل ؟

- هل تعرف هذا أيضا ؟

وبدأت تأخذ حذرها لانها بدأت تشك فى أن الأمر كان على جانب من الاهمية ، وأن البوليس يعرف عنه أكثر مما يريد ميجريه أن يقول فقالت :

- لقد مكث ثلاثتهم مدة لا بأس بها فى الغرفة ، وكانوا يتكلموت بصوت مرتفع .

- كما لو كانوا يتشاجرون ؟

- بل كما لو كانوا يتجادلون .

- باللغة الفرنسية ؟

- كـــــلا .

- وهل اشترك الباريسى فى الحديث ؟

- قليلا . على أنه كان أول من غادر الغرفة ، ولم أره بعد ذلك ، ثم انصرف مسيو ليفين والسيدة بدورهما . والتقى بى وهو خارج فشكرنى وأخبرنى بأنه منصرف وأنه سيعود بعد بضعة أيام .

- ألم يبد لك ذلك غريباً ؟

- لو أنك تدير فندقاً كهذا ، منذ ثمانية عشر عاما فلا يمكن أن يثير دهشتك أى شيء .

- هل أنت التى أعددت الغرفة بعد رحيله ؟

- أعددتها أنا والخادمة .

- ألم تعثرى على شيء ما ؟

- بقايا سجاير فى كل مكان . كان يدخن أكثر من خمسين سيجارة في اليوم . وكان يشترى جميع الجرائد التى تصدر فى باريس تقريبا .

- ألم يشتر جرائد أجنبية ؟

- كلا . وقد فكرت فى ذلك .

- كنت تشعرين بالدهشة والحيرة اذن ؟

- ان المرء يحب أن يعرف كل شيء .

- وماذا غير ذلك ؟

- قذارات كالمعتاد .. مشط مكسور وملابس ممزقة .

- هل عليها علامات مميزة ؟

- كلا . كانت كلها للطفل .

- أهى من نوع غال ؟

- بل متوسطة ... أكثر رقة مما اعتدت أن أراه هنا .

- سأعود لزيارتك فيما بعد .

- لمـــاذا ؟

- لأن هناك تفاصيل قد لا تذكرينها الآن ، وقد تعود حتما إلى ذاكرتك بعد إمعان الروية والتفكير . هل أنت على صلات ودية مع البوليس ؟ .. ألا يسبب لك بوليس الغرف المفروشة أية متاعب ؟

- فهمت . ولكننى لا أعلم أى شىء آخر .

- إلى اللقـــاء .

وخرج هو ولابوانت إلى أشعة الشمس وضوضاء الشارع وقال القوميسير :

- هل لك فى كأس ؟

- اننى لا أشرب أبدا .

- هذا أحسن . هل فكرت فى الأمر ؟

- أدرك الشاب أنه لا يسأله رأيه عما سمع فى الفندق المفروش ، وأجاب : نعم .

- اذن ؟

- سأتحدث معها الليلة .

- هل تعرف من هو ؟

- لى صديق صحفى يعمل فى الجريدة التى صدر فيها هذا المقال بالذات. ولكننى لم أره أمس، ثم أننى لا أتحدث معه أبدا

عما يدور فى الادارة . وهو يداعبنى دائما فى هذا الشأن .

- هل تعرفه أختك ؟

- نعم . ولكننى لم أكن أظن أنهما يخرجان معا . وإذا أنا أخبرت أبى بذلك فسوف يرغمها على العودة إلى مولان .

- وما إسم ذلك الصحفى ؟

- بيزار ... انطوان بيزار ، وهو يقيم وحده فى باريس هو الآخر . وتقيم أسرته في كوريز ، وهو أصغر منى بسنتين وله حق التوقيع على مقالاته .

- هل تلتقى بأختك ساعة الغداء ؟

- هذا يتعلق .. عندما أكون حرا ولا أكون بعيدا عن شارع ديباك اذهب للغداء معها فى مطعم بجوار مكتبها .

- أذهب إليها اليوم وأخبرها بما نمى إلى علمنا هذا الصباح .

- هل يجب ؟ ...

- نعـــم .

- واذا كررت ما تسمعه ثانية .

- سوف تفعل .

- أهذا ما تريده أنت ؟

- امضى وكن رقيقا معها ، ولا تجعلها تلحظ أنك تشك فى الأمر .

- ولكننى لا أستطيع أن أدعها تخرج مع ذلك الشاب .. ان أبى قد اوصانى ...

- أمض .

وطاب لميجريه أن يقطع شارع نوتردام دى لوريت سيرا على قدميه ، ولم يستقل سيارة أجرة إلا عندما بلغ حى مونمارتر ، بعد أن عرج على إحدى الحانات وتناول كأسا من النبيذ . وقال للسائق :

- إلى إدارة البوليس .

ولكنه لم يلبث أن رجع عن رأيه ودق بيده على زجاج النافذة وقال :

- أمضى بى إلى شارع تورين .

ورأى محل ستوفيل ، وكان بابه مغلقا لان فرناند ذهبت إلى السجن ومعها أطباقها كما تفعل كل يوم .

- قف لحظة .

كان جانفييه موجودا فى مقهى تورين ، وما أن رآه حتى غمز له بعينيه . ترى ، ما هى المهمة الجديدة التى عهد بها لوكاس إليه ؟ ..

كان منهمكا فى الحديث مع الاسكافى واثنين من عمال البناء يرتديان ثيابهما البيضاء المميزة .

- انعطف إلى اليسار ثم أمضى إلى ميدان فوج فشارع بيراج .

وبهذه الطريقة مر أمام مقهى فوج حيث كان الفونسى جالسا أمام منضدة بجوار النافذة .

- هل تهبط ؟

- نعم . انتظر لحظة .

ودخل مقهى تورين أخيرا وقال يخاطب جانفييه : إن الفونسى جالس فى المقهى المواجه . هل رأيت هناك بعض الصحفيين صباح اليوم ؟

- اثنين أو ثلاثة .

- هل تعرفهم ؟

- لا أعرفهم كلهم .

- الديك ما يشغلك ؟

- لا شىء ذو أهمية . إذا كنت تريد أن تعهد إلى بمهمة ما فاننى حر . كنت أريد أن أتحدث مع الاسكافى .

وكانا قد ابتعدا عن الجماعة بما فيه الكفاية ، وراحا يتكلمات فى صوت خافت :

- خطرت ببالى فكرة منذ لحظات ، بعد أن قرأت المقال . ان الرجل كثير الكلام بالتأكيد ويريد أن يغدو شخصية مهمة ،

وسيختلق من عندياته عند اللزوم . زد على ذلك أنه كلما وجد ما يقوله كلما كان ذلك سببا لمزيد من كئوس الشراب . وحيث أنه يقيم أمام ورشة ستوفيل تماما ، ونظرا إلى أنه يشتغل هو الآخر أمام فترينة محله ، فقد سألته إذا كانت هناك نساء تزور المجلد في بعض الأوقات .

– وبماذا أجاب ؟

– لم يقل الكثير ، ولكنه يتذكر على وجه الخصوص سيدة مسنة . ولا ريب أنها ثرية . كانت تأتيه في سيارة خاصة يقودها سائق يرتدى البزة الرسمية . كانت تجلد كتبها لديه . ومنذ شهر تقريبا جاءت سيدة شابة أنيقة جدا ترتدى معطفا من الفرو .. مهلا ... وقد الححت عليه لكى أعرف إذا كانت قد أتت مرة فحسب ولكنه أجابنى بأنها جاءت أكثر من مرة ، وأنها جاءت آخر مرة منذ أسبوعين ، وكانت ترتدى تاييرا أزرق وقبعة بيضاء . وكان يوما صافى الجو نشرت الجرائد فيه مقالا عن بائع الاسطل بشارع سان جرمان .

– هذا ما يتفق مع ما لدينا من معلومات .

– هذا ما خطر لى ؟

– اذن فهى قد هبطت إلى البدروم ؟

– كلا ، بيد أننى لست متأكدا من ذلك. من الواضح أنه قرأ

المقال هو الآخر ، وانه اختلق هذه القصة ليضفى على نفسه أهمية . ماذا تريد أن أفعل ؟

– ان تراقب الفونسى ، وألا تتركه يغيب عن بصرك طوال اليوم ... اعد كشفا بأسماء الاشخاص الذين سيلتقى بهم . .

– اينبغى ألا يعرف اننى اراقبه ؟

– ليس لهذا أهمية .

– وإذا خاطبنى ؟

– تحدث إليه .

وخرج ميجريه وفى انفه رائحة الشراب ، وحملته سيارة الاجرة إلى إدارة البوليس حيث وجد لوكاس يتناول غداءه ، وكان يتكون من بعض الشطائر ، وكان على المكتب كأسان من البيرة فأخذ القوميسير واحدا منهما بغير حياء .

– كلمنى تورينس فى التليفون منذ لحظة . قال أن موظفة البريد تتذكر أن سيدة ترتدى قبعة بيضاء ولكنها غير واثقة إذا كانت هى التى ارسلت البرقية . ويعتقد تورينس أنها لن تعترف بذلك حتى ولو كانت متأكدة .

– هل يعود ؟

– سيكون الليلة فى باريس .

– إطلب السنترال.. هناك سيارة أجرة يجب أن نبحث عنها..

وربما سيارتان .

هل خرجت مدام ميجريه اليوم قبل الميعاد لكى تمضى إلى طبيب الاسنان كما تفعل كل يوم ؟ .. ولكى تقضى بضع دقائق على مقعد ميدان دانفر ؟

لن يعود ميجريه إلى منزله لكى يتناول الغداء ، فان شطائر لوكاس اغرته ، وأصدر أوامره إلى حانة دوفين لك يأتوه هو الآخر ببعض منها .

وكان ذلك فألا حسنا كما هى العادة .

(٤)

مغامرة فرناند

ما كاد ميجريه يدخل مكتب المفتشين حتى نظر لابوانت الشاب إليه فى يأس. كان مضطرم العينين، شاحب الوجه ، كما لو كان قد قضى الليل مسهدا فوق أحد المقاعد الخشبية بقاعة انتظار الدرجة الثالثة . وأخذه القوميسير إلى مكتبه الخاص على الفور ، وهناك قال الشاب فى اكتئاب :

– ان قصة فندق بوسيجور كلها فى الجريدة .

– هذا أفضل .. لو لم يكن الأمر كذلك لخاب ظنى .

اذن فقد تعمد ميجريه أن يتحدث إليه كما لو كان يتحدث إلى زميل قديم .. إلى لوكاس أو إلى تورينس .

– اننا لا نعرف شيئا عن هؤلاء الاشخاص تقريبا ، ولا نعلم إذا كانوا قد قاموا حقا بدور ما فى هذه القضية . هناك امرأة وطفل صغير ورجل بدين وآخر زرى الهيئة .. فهل مازالوا فى باريس ؟ .. اننا لا ندرى .. إذا كانوا لازالوا بها فلا ريب انهم افترقوا ، وما على المرأة إلا أن تنضو عنها قبعتها البيضاء وأن تفترق عن الطفل حتى لا نعرفها أبدا .. هل تفهمنى ؟

– نعم يا سيدى القوميسير . أظن أننى أفهم . ومع ذلك

فإن من العسير أن أنكر أن أختى ذهبت والتقت بهذا الشاب مساء أمس كذلك .

– سوف تهتم بأختك فيما بعد . أما الآن فانك تعمل معى . وسوف يخيفهم مقال هذا الصباح ، وسيقع أحد شيئين .إما أن يلزموا جحرهم ، إذا كان لهم جحر ما وإما أن يبحثوا لهم عن مخبأ أمين . ومهما يكن فان فرصتنا الوحيدة هى أن يقدموا على شىء يكشفهم .

– نعم .

وتكلم القاضى دوسان فى التليفون فى هذه اللحظة مبديا دهشته من المقال الذى نشرته الجريدة ، وراح ميجريه يذكر له استنتاجاته فقال :

– ان الجميع يقظون يا سيدى القاضى .. المحطات والمطارات والفنادق المفروشة وبوليس الطرق وموبرز ، فوق ، فى البوليس الجنائى ، يبحث عن الصور التى يمكن أن تنطبق على أصحابها . وهم يستجوبون سائقى سيارات الاجرة وأصحاب الجاراجات ، إذ ربما تكون لأصحابنا هؤلاء سيارة .

– أيخامرك احساس بأن لهذا علاقة بقضية ستوفيل .

– إنه خيط من خيوط كثيرة قد يهدينا إلى أى شىء .

– أننى استدعيت ستوفيل ، للحضور فى الساعة الحادية

عشرة . وسيكون محاميه معه كالعادة لانه لا يدعنى اتبادل كلمة واحدة فى غير وجوده .

- هل تسمح لى أن أحضر الاستجواب بعض الوقت .

- سوف يحتج ليوتار ، ولكن تعال معى على كل حال ، واحرص على ألا يبدو الامر متعمدا .

شىء غريب ! .. لم يسبق لميجريه أن التقى أبدا بليوتار هذا الذى جعلت منه الصحافة عدوا لدودا له .

وفى هذا الصباح كذلك نشرت جميع الجرائد حديثا للمحامى الشاب عن آخر تطورات القضية فقالت :

- إن ميجريه ينتمى إلى رجال البوليس الذين تخرجوا من المدرسة القديمة ، أى أنه ينتمى إلى ذلك العهد الذى كان رجال البوليس يطيب لهم تعذيب المتهم إلى حد الإرهاق مما يضطره إلى الإعتراف ويحتفظون به تحت تصرفهم لمدة أسابيع ينقبون فيها بلا حياء فى حياة الناس الخاصة ويعتبرون كل الخدع مشروعة .

وهو الوحيد الذى لا يفهم أن الجمهور لم يعد يتقبل اليوم مثل هذه الأساليب المجوجة .

إنه إنخدع بخطاب كتبه مداعب مجهول وألقى القبض على رجل شريف عجز بعد ذلك عن إقامة أى دليل ضده .

ومع ذلك فقد أصر على عناده، وبدلا من الاعتراف بهزيمته

راح يحاول إكتساب الوقت وتسلية المتفرجين ، واستنجد بمدام ميجريه ، وراح يقدم للجمهور حلقات من رواية بوليسية مسلسلة.

صدقونى أيها السادة أن ميجريه أصبح رجلا من رجال العهد القديم .

وقال القوميسير يخاطب لابوانت : ابق معى يا صغيرى ، ولكن لا تنسى أن تسألنى ، قبل أن تنصرف هذا المساء عما يجب أن تقول لاختك .

- لن أقول لها شيئا .

- بل ستقول لها ما أريد أن تقول .

ومنذ ذلك الحين أصبح لابوانت ضابط اتصال بينه وبين اخته، ولم يكن هذا العمل عبثا لان البوليس الجنائى أصبح أشبه بمركز للقيادة العامة .

وأصبح مكتب لوكاس ، تورين العظيم ، مركزا للقيادة العامة، وراح الموظفون يأتون إليه من كل الادوار ، فى حين أخذ الكثيرون يراجعون بطاقات الفنادق بحثا عن ليفين أو عن أى شخص يمكن أن تكون له علاقة بالاشخاص الثلاثة والغلام .

وقد وقعت فى الليلة السابقة ، فى الفنادق والغرف المفروشة مفاجآت بغيضة لنزلائها فقد أيقظهم رجال البوليس، وفحصوا

بطاقاتهم . وكان من نتيجة هذه المفاجآت أن ألقوا القبض على نحو خمسين منهم ما بين رجال ونساء لم تكن بطاقاتهم مستوفاة واضطروا إلى قضاء الليلة فى مخافر رجال البوليس لاخذ بطاقاتهم .

وفى المحطات خضع المسافرون للفحص خلسة وعلى غير علم منهم . وبعد ساعتين من ظهور الجريدة بدأت المكالمات التليفونية وازدادت بحيث ان لوكاس اضطر إلى تخصيص موظف لهذا العمل بالذات .

فقد رأى بعض الاشخاص الغلام فى كل مكان ، وفى مختلف نواحى باريس والضواحى ، بعضهم مع السيدة ذات القبعة البيضاء والبعض مع السيد ذى اللهجة الاجنبية .

وأسرع بعض المارة فجأة إلى أحد رجال الشرطة يقولون : أسرع .. إن الغلام فى آخر الشارع .

وتحقق البوليس من كل شىء ولم يهملوا أية نقطة . وانطلق ثلاثة من المفتشين فى أول ساعة من ساعات النهار لاستجواب أصحاب الجاراجات .

واهتم رجال البوليس الجنائى ، هم الآخرون ، بالقضية طوال اليوم .. ألم تقل صاحبة الفندق أن نزيلها لا يعود عادة قبل الساعة الواحدة صباحا ؟

كان لابد أن يعرفوا إذا كان الامر يتعلق بأحد المترددين على علب الليل ، وأن يستجوبوا عمال البارات والفتيات اللاتى يجالسن الرواد .

وبعد أن حضر ميجريه «التقرير» فى مكتب الرئيس ، أخذ يروح ويجىء طوال اليوم تقريبا ، خلال المبنى كله . وكان لابوانت يتبعه ، فهبط معه إلى الدور الأرضى وصعد لرؤية مويرز، ثم إلى إدارة التحقيق، يستمع هنا إلى مكالمة تليفونية، وإلى بعض الآراء هناك .

وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة بقليل عندما اتصل أحد سائقى سيارات الاجرة بالتليفون ، ولم يكن قد تكلم قبل ذلك لانه انطلق إلى الريف بسيدة مريضة لم تشأ أن تستقل القطار .

ذلك أنه هو الذى ركبت معه السيدة والغلام من ميدان سان اوجستان ، وأنه يذكر ذلك تماما .

– وأين ذهبت بهما ؟

– عند التقاء شارعى مونمارتر جران بوليفار ..

– هل كان ثمة من ينتظرهما ؟

– لم أر أحدا .

– ألا تعرف أين ذهبا ؟

– انتى فقدت أثرهما على الفور وسط الزحام .

كانت تقع فى ذلك المكان فنادق كثيرة . وقال ميجريه يخاطب لابوانت :

- عد إلى الطابق الأرضى وقل لهم أن يفتشوا المنطقة التى تحيط بميدان مونمارتر . ألا تفهم الآن أنه ما لم يتملكهم الخوف، وما لم يتحركوا فلن تكون لدينا أية فرصة للعثور عليهم .

وكان تورينس قد عاد من كونكارنو ومضى إلى شارع تورين لكى يعيش «فى الجو» كما يقول .

أما جانفييه فقد ارسل تقريره يقول فيه أنه لايزال يتتبع خطوات الفونسى .

وكان هذا الاخير قد التقى أمس بفيليب ليوتار فى مطعم بشارع ريشيليو حيث تناولا عشاء دسما وهما يتبادلان الحديث فى هدوء ولحقت بهما بعد ذلك سيدتان ، لا تشبه أى منهما السيدة ذات القبعة البيضاء . كانت احداهما سكرتيرة المحامى ، وهى امرأة طويلة القامة ، شقراء . لها هيئة كواكب السينما ، أما الأخرى فقد انطلقت مع الفونسى .

وقد ذهب هذا الأخير مع زميليه إلى السينما ثم إلى كباريه بشارع بلانش بقيا فيه حتى الساعة الثانية صباحا ، وبعد ذلك اصطحب المفتش السابق زميلته إلى الفندق الذى يقيم فيه بشارع دويه .

ونزل جانفييه بغرفة أخرى بنفس الفندق واتصل بميجريه وقال له : انهما مازالا نائمين ، وأنا انتظر .

وقبل الحادية عشرة بقليل اكتشف لابوانت ، وهو يمشى مع ميجريه فى إدارة الامن العام مكاتب لم يكن قد عرفها بعد . وكانا قد انطلقا فى ممر طويل مقفر تطل نوافذه على الفناء . وتوقف ميجريه فى آخر الممر وأشار إلى زميله الشاب بأن يلزم الصمت .

فقد دخلت عربة من عربات السجن إلى الفناء ى هذه اللحظة. وكان ثلاثة أو أربعة من رجال الشرطة ينتظرون وهم يدخنون . وهبط اثنان آخرون من العربة واخرجا منها رجلا ضخما كالغوريللا ، ذا جبين منخفض تغل الأصفاد يديه ، ولم يعرفه ميجريه اذ لم يسبق ان رآه قبل ذلك .

ثم هبطت امرأة عجوز هشة تبدو البراءة على ملامحها ، ولكنه كان قد ألقى القبض عليها قبل ذلك نحو عشرين مرة بتهمة النشل ، وقد تبعت الشرطة كما لو كانت قد اعتادت على المكان، وسارت بتنورتها الواسعة نحو قلم قضاة التحقيق .

وكات الشمس ساطعة ، والجو صاف هادىء كجو الربيع ، وقد راح الذباب يطن فى المكان .

ورأى ميجريه رأس ستوفيل الاشقر ، ولم يكن يلبس

قبعته ، وكانت بذلته مجعدة بعض الشيء ، وتوقف كما لو ان الشمس قد بهرته ، وكان واضحا انه أطبق عينيه نصف إطباقة خلف نظارته السميكة .

وكانت الاصفاد في يديه ، مثله في ذلك مثل الرجل الغوريللا، وهي قاعدة يلتزم بها البوليس كل الالتزام منذ هروب بعض السجناء من هذا الفناء بالذات .

وبدا ستوفيل بظهره المستدير وهيئته الرخوة مثل العمال المثقفين الذين يقرأون كل ما يقع تحت أيديهم ولا يعرفون أى شيء آخر فيما عدا عملهم .

وناوله أحد رجال الشرطة سيجارة مشعلة فشكره وأخذ منها بضعة أنفاس فى إرتياح مالئا رئتيه بالهواء والدخان .

ولا ريب إنه كان هادئا بطبعه لان الحراس كانوا يترفقون فى معاملته ، تاركين له الوقت لكى يتمالك روعه قبل أن يقتادوه داخل المبنى . أما هو فلم يبد من ناحيته أنه يحقد على حراسه أو يحمل لهم أية ضغينة .

كان هناك ظل من الحقيقة فى حديث الاستاذ ليوتار ، ففى أوقات أخرى كان ميجريه يقوم بالتحقيق حتى النهاية قبل أن يترك المتهم لقاضى التحقيق .

والواقع أنه لولا المحامى الذى بادر بالحضور منذ الاستجواب

الأول لرأى ميجريه ستوفيل مرارا كثيرة ، ولعرضت له الفرصة بهذه الطريقة لدراسة الرجل دراسة وافية .

ولكنه كان يكاد لا يعرفه لانه لم يبق معه أكثر من عشر ساعات ، ولم يكن قد عرف عن القضية نفسها شيئا بعد .

ونادرا ما وجد أمامه متهما بمثل هذا الهدوء ، متحكما فى عواطفه دون أن يبدو عليه التصنع أو التكلف .

كان ستوفيل ينتظر الأسئلة ، وقد أمال رأسه قليلا كما لو أنه يريد أن يفهم ، وكان ينظر إلى ميجريه كما لو كان ينظر إلى محاضر يلقى محاضرة يتعذر عليه فهمها ، ثم يأخذ كل وقته فى التفكير ويتكلم بصوت هادىء تشوبه دهشة خفيفة وينتقى كلماته ، ولكن بدون أى تكلف .

لم يبد عليه الشعور بالملل أو بفروغ الصبر كأغلب المتهمين. وعندما كان يعود السؤال للمرة العشرين كان يرد عليه بنفس العبارات السابقة ، وفى هدوء عجيب .

وود ميجريه لو أنه عرفه أكثر من ذلك ، ولكنه لم يكن ملكه الآن وإنما كان ملكا منذ أكثر من ثلاثة أسابيع لدوسان الذى راح يستدعيه ومعه محاميه بمعدل مرتين كل أسبوع .

ومما لا ريب فيه أن ستوفيل كان رجلا خجولا فى الواقع ، ولكن اغرب ما فى الأمر هو أن القاضى كان خجولا، هو الآخر.

وكان القوميسير قد رأى ذات يوم حرف ج . أمام اسمه فسأله عنه . واضطرم وجه القاضى الوقور وقال :

- لا تذكره لاحد وإلا فسيدعونى الجميع بعد ذلك بالملاك ، كما فعل زملائى فى المدرسة أولا ثم فى كلية الحقوق بعد ذلك. ان اسمى جبرييل .

قال ميجريه يخاطب لابوانت : تعال ، سوف تبقى فى مكتبى لتتلقى المكالمات التليفونية ريثما أعود .

ولكنه لم يصعد مباشرة وإنما راح يتسكع بعض الوقت فى الممرات وغليونه بين أسنانه ويداه فى جيبه كما لو كان فى بيته.

وعندما تراءى له أن التحقيق قد بدأ مضى إلى قلم قضاة لتحقيق وطرق باب القاضى دوسان وقال :

- هل تسمح ؟

- تفضل أيها القوميسير .

ونهض رجل ، وكان قصيرا ، ناحل العود بصورة مفرطة ، ى الاناقة ، عرفه ميجريه على الفور لانه كان قد رأى صورة فى الجرائد . كان شابا يتظاهر بالاهمية لكى يبدو أكبر من ، شيئا ما ، يتكلف ثقة واعتدادا لا يتناسبان مع سنه .

وكان على شىء كبير من الوسامة ، ذا بشرة كامدة وشعر أ د .. له منخاران كبيران يهتزان فى بعض الأحيان ، وينظر

إلى الناس متفرسا كما لو كان مصمما على أن يحملهم على الاطراق . تكلم فقال :

– لا ريب أنك مسيو ميجريه .

– نعم يا استاذ ليوتار .

– إذا كنت تبحث عنى أنا فسوف أراك طواعية بعد انتهاء الاستجواب .

وكان فرانز ستوفيل جالسا أمام القاض ينتظر . واكتفى هو الآخر بأن ألقى نظرة على القوميسير ثم إلى الكاتب الجالس فى آخر المكتب وقلمه فى يده :

– اننى لا أبحث عنك انت بالذات ولكننى أبحث عن مقعد.

– هل تنوى البقاء هنا ؟

– ما لم يطلب منى سيادة القاضى أن أنصرف .

– بل ابق يا ميجريه .

– اننى أحتج . اذا كان ولابد للاستجواب ان يمر بهذه الطريقة فاننى سأبدى كل التحفظات لان وجود شرطى فى هذا المكتب سيؤثر طبعا فى عميلى .

وهم ميجريه بأن يقول : غن يا صاحبى .. ولكنه أمسك ورمى المحامى بنظرة ساخرة . لم يكن هذا الاخير يعنى كلمة واحدة مما قال طبعا ، ولكن كانت هذه وسيلة من وسائله ، ففى

الاستجوابات السابقة احتج لأسباب تافهة ، ولأسباب غريبة حقا.

- ليس هناك أى قانون يمنع أحد ضباط البوليس الجنائي من حضور أى استحواب . وإذا أردت فسوف نستأنف من حيث انقطع بنا الحديث .

ولكن دوسان كان قد تأثر بعض الشيء من حضور ميجريه . ومرت لحظة طويلة قبل أن يتمالك نفسه ويقول :

- سألتك يا مسيو ستوفيل هل كان من عادتك أن تشترى ثيابك جاهزة أو إذا كان أحد الخياطين يفصلها لك .

قال المتهم فى تفكير : ان هذا يرجع للظروف .

- أية ظروف ؟

- اننى لا أعلق أهمية كبيرة على الثياب . عندما أحتاج إلى بدلة فاننى قد اشتريها جاهزة وقد ألجأ إلى خياط لكى يفصلها لى .

- أى خياط ؟

- فصلت بدلة منذ عدة سنوات عند خياط يهودى كان جارا لى . وقد اختفى بعد ذلك ، وأظنه هاجر إلى أمريكا .

- هل كانت بدلة زرقاء .

- كلا . وإنما كانت رمادية .

- كم سنة لبستها ؟
- لا أدرى . سنتان أو ثلاث .
- وبدلتك الزرقاء ؟
- لم أشتر أية بدلة زرقاء منذ نحو عشر سنوات .
- ولكن بعض الجيران رأوك مرتديا بدلة زرقاء منذ وقت قريب .
- لا ريب انهم خلطوا بين بدلتى ومعطفى .
والواقع أنهم وجدوا معطفا أزرق فى المسكن .
- متى اشتريت ذلك المعطف ؟
- فى الشتاء الماضى .
- أليس غريبا أن تشترى معطفا أزرق مع انك لا تملك إلا بدلة رمادية . ان اللونين لا ينسجمان .
- اننى لا أهتم بالاناقة .
وفى أثناء ذلك راح ليوتار ينظر إلى ميجريه فى شىء من التحدى ، ويمعن النظر فيه كما لو كان يريد أن يغنطه ثم هز كتفيه أخيراً كما يفعل فى المحكمة ليؤثر فى هيئة المحلفين ، وعلت شفتيه ابتسامة ساخرة .
- لماذا لا تعترف بأن البدلة التى وجدناها فى الدولاب ملكك؟

- لانها ليست لى .

- وكيف تفسر وجودها فى ذلك المكان وانت كما يقال لا تغادر مسكنك ابداً ، ولا يمكن الوصول إلى غرفتك إلا عن طريق الورشة .

- لا أستطيع أن أفسر ذلك .

- فلنكن منطقيين يا مستر ستوفيل . اننى لا انصب لك شركا . هذه ثالث مرة على الأقل نواجه فيها هذا الموضوع . إذا كان ولابد أن اصدقك فان بعضهم قد دخل مسكنك خلسة لكى يضع ضرسين بشريين فى رماد مرقدك . ولاحظ أن هذا البعض قد اختار اليوم الذى تغيبت فيه زوجتك ، وانها لكى تتغيب كان لابد لها أن تسافر إلى كونكارنو ، أو أن ترسل أحداً إلى هناك لكى يبعث إليها بتلك البرقية التى تقول ان أمها مريضة. انتظر .. ليس هذا كل شىء .

«لم تكن وحدك فى البيت فحسب ، وهذا أمر لا يحدث أبداً ، ولكنك اشعلت نارا فى ذلك اليوم وفى اليوم الذى يليه، واضطررت إلى نقل الرماد إلى صندوق القمامة سبع مرات .

ولدينا فى هذه النقطة بالذات شهادة مدام سالازار ، البوابة . وليس لديها ما يحملها على الكذب ، وهى من مكانها تستطيع أن تتابع ساكنيها فى ذهابهم وايابهم. وفى صباح يوم الاحد

ذهبت إلى صندوق القمامة سبع مرات وأنت تحمل دلوا كبيرا مملوءا بالرماد .

وقد خطر لها أنك تقوم بتنظيف الورشة وأنك أحرقت اوراقا قديمة .

ولدينا كذلك شهادة مدام ميجان التى تقيم فى الطابق الأخير، وهى تقول ان مدخنتك ظلت تدخن طوال يوم الاحد . وقالت انه كان يخرج منها دخان اسود ، وقد فتحت نافذتها في وقت من الاوقات وشمت رائحة كريهة .

تدخل المحامى فقال وهو يلقى بسيجارته فى المنفضة وينتقى سيجارة أخرى من علبة من الفضة .

- ألا يعتقد أهل الحى أن هذه العانس ميجان التى بلغت الثامنة والستين من عمرها متخلفة عقليا ؟ .. واسمح لى أن أقول أن النشرات الجوية الرسمية لايام ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ فبراير تؤكد أن الحرارة فى باريس وفى المنطقة الباريسية كانت منخفضة كثيرا على غير العادة .

- ولكن هذا لا يفسر الضروس ولا يفسر كذلك وجود البدلة الزرقاء فى الدولاب ولا بقع الدم التى بها .

- انت الذى تتهم وعليك تقديم الدليل . ولن تتمكن أبداً من أن تثبت أن هذه البدلة ملك لعميلى حقا .

– هل تسمح أن ألقى سؤالا يا سيدى القاضى ؟

تحول هذا الاخير إلى المحامى ولكن هذا الاخير لم يجد الوقت لكى يحتج لان ميجريه التفت إلى الفلمندى وقال له :

– متى سمعت عن الاستاذ فيليب ليوتار لاول مرة .

نهض المحامى لكى يرد ، ولكن ميجريه استطرد غير عابىء به : عندما فرغنا من استجوابك فى الليلة التى ألقينا فيها القبض عليك ، أو بالحرى فى الساعات الأولى من الصباح ، سألتك إذا كنت نريد أن توكل عنك محاميا أجبتنى بالايجاب وذكرت اسم الاستاذ ليوتار .

– أن من حق أى متهم أن يختار المحامى الذى يروق له ، وإذا القيت هذا السؤال مرة ثانية فسأضطر إلى أن ارفع الامر إلى نقابة المحامين .

– افعل يا صاحبى .. افعل .. اننى سألتك انت يا ستوفيل، ولم ترد على. . ولم يكن هناك ما يثير الدهشة لو انك ذكرت اسم محام مشهور، ولكن لم يحدث هذا ، ثم انك لم تفحص أى دليل فى مكتبى ولم تلق أى سؤال على أحد . والاستاذ ليوتار لا يقيم فى الحى الذى تسكنه انت ، واظن أن اسمه لم ينشر فى الجرائد ابدا قبل ثلاثة أسابيع .

- انني احتج ..

- ارجوك .. أما أنت يا ستوفيل فقل لى ، هل سمعت عن الاستاذ ليوتار قبل قدوم مفتشى فى صباح يوم ٢١ . وإذا كنت قد سمعت عنه فقل لى متى وأين .

- لا ترد يا ستوفيل .

تردد الفلمندى ونظر إلى ميجريه من خلال نظارته الكبيرة .

- هل ترفض أن ترد ؟ .. حسنا . سألقى عليك سؤالا آخر . هل اتصل بك احد بعد ظهر ٢١ بالذات لكى يتحدث معك عن الاستاذ ليوتار ؟

بدا التردد على ستوفيل للمرة الثانية .

- أو إذا شئت . هل تحدثت مع أحد فى التليفون ؟ سأردك إلى جو ذلك اليوم الذى بدأ كغيره من الايام . كانت الشمس ساطعة ، وكان الجو رائقا بحيث انك لم تشعل جهاز التدفئة . وكنت تباشر عملك أمام الفترينة عندما تقدم المفتش وطلب منك أن يزور المكان بحجة ما .

تدخل ليوتار فقال : اذن فأنت تعترف بذلك ؟

انني أعترف يا أستاذ .. ولكننى لا أسألك أنت .

أدركت على الفور أن البوليس يهتم بك يا ستوفيل .

«فى ذلك الوقت كانت توجد بورشتك حقيبة سوداء اختفت

عندما أقبل البريجادير لوكاس ومعه الاذن بالتفتيش .

فمن الذى اتصل بك بالتليفون؟ ... أو مع من تكلميت أنت؟ ومن الذى جاء لزيارتك بين زيارة لابوانت وقدوم لوكاس .

«اننى راجعت قائمة الاشخاص الذين اعتدت انت الاتصال بهم والذين دونت اسماءهم فى دفتر صغير . وراجعت أنا نفس دليل التليفون . واسم ليوتار ليس مذكورا بين أسماء عملائك .

- اننى أمنعك من الرد .

ولكن الفلمندى أتى بحركة تدل على نفاد صبره وأجاب :

- أنه أقبل من تلقاء نفسه .

- انك تتكلم عن الاستاذ ليوتار طبعا ، أليس كذلك ؟

وعندئذ ردد المجلد البصر حوله ، وومضت عيناه كما لو أنه يستمتع بتوريط محاميه وأجاب :

- نعم . أننى أتكلم عن الاستاذ ليوتار .

تحول هذا الاخير إلى الكاتب الذى راح يكتب وقال : لا حق لك فى تسجيل هذه الأقوال فى محضر رسمى ، فلا شأن لها بالقضية . الواقع اننى ذهبت إلى ستوفيل ، وكنت قد سمعت عنه لكى اسأله إذا كان يستطيع أن يجلد لى بعض الكتب . اليس هذا صحيحا ؟

- هذا صحيح .

ولكن لماذا ، بحق الشيطان ، ومضت فى عينى الفلمندى هذه الومضة المتخابثة ؟

- كنت أريد أن يصنع لى كليشيها عليه شعار الاسرة يا مسيو ميجريه ، لان جدى كان يدعى الكونت دى ليوتار . وقد تخلى عن اللقب بمحض ارادته بعد أن افتقر . وقد أردت اعداد شعار باسم الاسرة ، ولجأت إلى ستوفيل لهذا الغرض لاننى سمعت انه أحسن مجلد فى باريس وأنه مشغول دائما .

- ألم تحدثه إلا عن شعار الاسرة .

- عفوا .. يبدو لى أنك تستجوبنى أنا الآخر . أنا هنا فى مكتبك ولا أريد أن أخاصم شرطيا . انك عندما بدأت استجواب عميلي ابديت كل التحفظات . أما أن تستجوب أحد رجال القانون ...

- هل تريد أن تلقي اسئلة أخرى على ستوفيل أيها القوميسير ؟

- كلا . شكرا لك .

والغريب انه خيل له أن المجلد لم يشعر بأى استياء مما حدث. وانه راح ينظر إليه فى شىء من الود .

أما المحامى فقد جلس وأمسك ملفا وتظاهر بأنه مستغرق فى دراسته . وقال ميجريه يخاطبه :

- ستجدنى فى مكتبى عندما تشاء يا استاذ ليوتار . هل

تعرف مكتبى؟ إنه قبل الأخير، إلى اليسار، فى آخر الممر.

وابتسم للقاضى الذى كان يتململ فى مقعده ثم مضى إلى الباب الصغير الذى يؤدى إلى القلم الجنائى .

كانت الجلبة قد ازدادت عن ذى قبل .. التليفونات تصلصل خلف الأبواب والناس الذين ينتظرون فى كل مكان والمفتشون الذين يجرون فى الممرات .

– اظن ان هناك من ينتظرك فى مكتبك أيها القوميسير .

– وعندما بلغ الباب ألفى فرناند جالسة وحدها مع لابوانت الشاب ، وكان هذا الاخير يجلس مكان ميجريه ويصغى إليها وهو يدون بعض الملاحظات . وتملكه الارتباك وهب واقفا . وكانت زرجة المجلد ترتدى معطفا من الجبردين الاسمر بحزام فى الوسط وقبعة من نفس اللون .

وقالت تسأل: كيف هو؟ .. هل رأيته الآن .. أمازال فوق ؟

– انه على خير ما يرام . وهو يقر بأن ليوتار مر بالمحل بعد ظهر ٢١ .

قالت : وقع لى حادث خطير جدا ، وارجوك أن تصغى إلى ما أقول فى صبر . غادرت شارع تورين صباح اليوم كعادتى لكى اذهب بطعامه إلى السجن، وانت تعرف الأوعية الصغيرة

التى أضع فيها الطعام .

« وقد ركبت المترو فى محطة سان بول ، واستبدلته بآخر فى محطة شاتليه ، واشتريت الجريدة فى الطريق لاننى لم أكن قرأت الاخبار بعد .

« وكان هناك مكان شاغر بجوار الباب فجلست به وبدأت قراءة المقال الذى تعرفه .

وكنت قد وضعت الاوعية فوق الارض بجوارى ، وكنت أشعر بسخونتها بجوار ساقى .

« وقبل محطة مونبارناس ببضع محطات صعد اناس كثيرون ومعهم حقائب . ولا ريب أن قطارا كان قد أقبل قبل ذلك ، وكنت مستغرقة فى قراءة المقال فلم اهتم بما يدور حولى إلى أن خيل لى أن هناك من يعبث بالأوعية .

ورأيت يدا تحاول أن تعيد الغطاء مكانه .

« ونهضت وأنا استدير نحو جارى ، وكنا قد بلغنا محطة مونبارناس حيث كان يجب أن استبدل المترو . وهبط الجميع تقريبا .

« ولا أدرى كيف افلح الرجل ولكنه استطاع ان يقلب الاوعية وان يتسلل إلى الرصيف قبل أن اتمكن من رؤية وجهه. وانسكب الطعام. واحضرت لك الاوعية، وهى فارغة تماما،

يما عدا الوعاء الذى كان تحت الباقى .

وها أنت ترى أن هناك شريطا من المعدن فى آخره مقبض يط الاوعية بعضها ببعض ، وهذا الشريط لم ينفتح وحده .

وأنا واثقة ان شخصا تبعنى وحاول أن يدس السم فى الطعام ذى اذهب به إليه .

قال ميجريه مخاطبا لابوانت : اذهب بالاوعية إلى المعمل .

- ربما لن يجدوا شيئا لان الرجل حاول دس السم فى الوعاء ذى فوق ، وهو فارغ الآن . ولكن هل تصدقنى يا سيدى لقوميسير ؟ انك تحققت طبعا من اننى كنت صريحة معك .

- وهل كنت صريحة معى دائما ؟

- بقدر المستطاع . ولكن الأمر هذه المرة يتعلق بحياة رانز. انهم يحاولون قتله ، وقد أراد هؤلاء الأوغاد أن ستخدمونى على غير علم منى .

وفاضت نفسها مرارة وحسرة .

- لو اننى لم أكن مستغرقة فى قراءة الجريدة لاستطعت أن رى الرجل . وكل ما أعرفه أنه يرتدى معطفا خفيفا أسمر للون كمعطفى هذا وان حذاءه الأسود قديم .

- أهو شاب ؟

- ليس شابا وليس كهلا كذلك. انه متوسط العمر أو بالحرى

رجل لا عمر له . هل تعرف ما أعنى ؟ .. كانت هناك بقعة فوق كتف معطفه . لاحظت ذلك وهو يبتعد متسللا .

- أهو طويل .. نحيف ؟

- بل قصير.. معتدل القامة على كل حال .. له سحنة فأر.

- هل أنت واثقة انك لم تريه من قبل ؟

فكرت قبل أن تقول : كلا .. لا أظن أننى رأيته قبل ذلك .

ثم استدركت قائلة : اننى اتذكر الآن . كنت اقرأ مقال الجريدة عن السيدة والغلام وفندق بوسيجور ، وأظن انه احد الرجلين .. ذلك الذى تكلمت صاحبة الفندق وقالت انه أشبه ببائع الصور الخليعة . هل تسخر منى ؟

- كـــلا .

- ألا تظن اننى اختلقت هذه القصة ؟

- كـــلا .

- هل تظن انهم حاولوا قتله ؟

- هذا محتمل .

- ماذا ستفعل ؟

- لا أدرى بعد .

وعاد لابوانت وقال أن المعمل لا يمكن اصدار رأيه إلا بعد عدة ساعات .

- هل تظن أن من الاوفق أن يقنع بطعام السجن .
- هذا ادعى للاحتراس .
- سيتساءل لماذا لم آته بطعامه ، ولن أراه إلا بعد يومين ، في موعد الزيارة .

لم تكن تبكى ، ولم تقم بأى تصنع أو تكلف ، ولكن عينيها الداكنتين المطوقتين كانتا مشحونتين بالقلق واليأس .

- تعالى معى .

ونظر إلى لابوانت ، وغمز له بعينه ، وتقدمها فى السلم ، فى الممرات التى كانت تزداد اقفارا كلما تقدما فيها ، ووجد بعض المشقة فى فتح نافذة تطل على الفناء الذى تقف فيه عربة السجن .

- لن يلبث ان يهبط . هل تسمحين ؟ .. ان لدى عملا فوق.

وتبعته بعينيها وهو يبتعد غير مصدقة ، ثم تعلقت بيديها فى القضبان محاولة أن ترى إلى أبعد ما تستطيع ، من الناحية التى سيخرج منها ستوفيل .

(٥)

القبعـــة

أحس براحة أكبر وهو يغادر المكاتب التى كانت أبوابها تصطفق فى غير انقطاع بسبب مرور المفتشين ولأن جميع أجهزة التليفون كانت تعمل فى وقت واحد . وكان يستخدم سلما مقفرا دائما وهو فى طريقه إلى الدور العلوى حيث المعامل وغرف الارشيف .

وكانت العتمة قد بدأت تزحف، فارتقى السلم الخافت الضوء، يسبقه ظله الكبير .

وفى ركن من احدى الغرف المنخفضة ، كان مويرز يعمل تحت مصباح كان يقربه إليه أو يقصيه عنه بواسطة قضيب من الحديد، وقد ثبت فوق جبينه واقية متحركة ووضع فوق عينيه نظارة ضخمة .

ولم يكن مويرز قد ذهب إلى شارع تورينس لاستجواب القوم أو لشرب النبيذ الابيض أو الأحمر فى احد البارات الثلاثة الموجودة هناك. ولم يتعقب أى شخص فى الشارع أو يقضى

الليل مختبئا فى ظل باب مغلق .

لم يكن يحتد ابدا ، ولم يكن يتملكه الانفعال . وربما تجده فى مكتبه ثلاثة أيام وليال متعاقبة .

أخذ ميجريه مقعدا من غير ان ينطق ، وجلس بجوار المفتش واشعل غليونه ، وراح يدخن فى هدوء . واذ سمع صوتا منتظما فوق الكوة أدرك أن الطقس قد تغير وأن الدنيا بدأت تمطر .

قال مويرز وهو يناوله بعض الصور : انظر إلى هذه يا سيدى. كان عملا رائعا قام به وحده فى مكتبه ، فقد جمع الأوصاف الغامضة التى قدمت اليه وعالجها على طريقته الخاصة، وصور منها ثلاثة اشخاص لايعلم احد عنها شيئاً تقريباً. الاجنبى البدين الاسمر ذو الثياب الثمينة والمرأة ذات القبعة البيضاء ، وأخيراً الشريك الذى يشبه بائع الصور الخليعة .

ولكى ينجز مثل هذا العمل الضخم لم يكن يملك غير بضع بطاقات وملفات ، ولكن لعله كان الوحيد الذى يختزن فى ذاكرته بذكريات كافية. لكى يحقق هذا العمل بكل صبر وأناة .

كانت المجموعة الأولى التى راح ميجريه يفحصها تضم نحو أربعين رجلا بدينا ، يتسمون بالأناقة، من اليونانيين أو الشرقيين، ناعمى البشرة، يلبسون خواتم فى أصابعهم. وتنهد مويرز وقال:

- اننى مسرور جدا من هؤلاء . ولكن يمكنك أن تفحصهم على كل حال ، وان كنت أفضل هؤلاء بالذات .

وكانت المجموعة الثانية خمس عشرة رجل . وعندما كان ميجريه ينظر إلى كل منها كان يشعر بأنه يود لو أن يصفق ، فقد كانت كلها قريبة الشبه من الرجل الذى أدلت صاحبة فندق بوسيجور بأوصافه .

وكان مويرز قد كتب فوق كل صورة مهنة صاحبها ، فكان بينها صورتان لرجلين يشتغلان بالمراهنات على السباق ، وصورة لرجل متخصص فى السرقة بالاكراه ، كان ميجريه يعرفه كل المعرفة لأنه القى القبض عليه شخصيا ذات مرة فى أتوبيس عام، ولرجل آخر يلاحق رواد الفنادق الكبرى لحساب بعض المؤسسات الخاصة . وتراقصت فى عينى مويرز شعلة صغيرة تنم عن الرضا وقال :

- هذا العمل فيه تسلية كبيرة ، أليس كذلك ؟ أما عن المرأة فلم أجد شيئا تقريبا ، لان الصور التى لدينا تخلو من القبعات ، ومع ذلك ، فاننى مستمر .

دس ميجريه الصور فى جيبه . وبقى لحظة ، ارضاء لمويرز ثم تنهد وانتقل إلى المعمل المجاور حيث كانوا يجرون تجاربهم على الاطعمة التى كانت موجوده فى آنية فرناند .

لم يعثروا فيها على شيء . فاما أن تكون قد اختلقت القصة من اساسها لغرض غير مفهوم ، وإما أنها تنبهت إلى الرجل قبل أن يتمكن من دس السم ، أو أن يكون هذا الأخير قد دس السم فى الطعام الذى انسكب فى المترو .

وتجنب ميجريه اجتياز مكاتب البوليس القضائى وخرج تحت المطر إلى رصيف اورفيفر ، ورفع ياقة سترته ومضى نحو جسر سان ميشيل واضطر أن يمد يده نحو عشر مرات لكى يوقف سيارة أجرة .

– ميدان بلانش ، فى آخر شارع ليبيك .

لم يكن راضيا عن تقدم التحقيق ، وكان يحقد بوجه خاص على فيليب ليوتار الذى ارغمه على أن يتخلى عن وسائله العادية . وأن يرغم كل الأقسام ، منذ اللحظة الأولى على الحركة بحيث اشترك فى القضية كثيرون واصبح لا يستطيع ادارتها شخصيا . وكانت القضية نفسها تزداد تعقدا بظهور أناس آخرين لا يعرف عنهم شيئاً تقريباً ، ولا يستطيع أن يخمن أدوارهم فيها.

وقد أحس برغبته ، مرتين ، فى أن يبدأ القضية وحده ، من جديد . وفى تأن وبطء كعادته . ولكن ذلك لم يعد ممكنا لان الآلة راحت تدور ولم تعد هناك أية وسيلة لايقافها .

كان يود ، مثلا ، أن يستجوب البوابة من جديد ، وكذلك الاسكافى والعانس التى تقيم بالدور الرابع ، ولكن ما الجدوى من ذلك الآن ، لقد استجوبهم الجميع ، المفتشون والصحفيون الهواة من المخبرين ، ورجال الشارع . وظهرت أقوالهم فى الجرائد ، ولن يتراجعوا عنها الآن . كانوا كالاثر الذى وطأته آلاف الاقدام .

– هل تظن أن المجلد قتل احدا ما يا مسيو ميجريه ؟

كان السائق هو الذى القى هذا السؤال فى غير كلفة ، وأجابه ميجريه قائلا :

– لا أدرى .

– لو أننى كنت مكانك لاهتممت بالصبى بصفة خاصة ، فهو الطرف المهم ، ولست اتكلم هكذا لان لى صبيا مثله .

حتى السائقين انضموا إلى المحققين .. وهبط ميجريه فى آخر شارع ليبيك ودخل بارا لكى يتناول كأسا . كان المطر يتساقط حول الشرفة التى تجمعت فيها بعض النسوة وبدون كأنهن فى متحف الشمع . كان يعرف أكثرهن ، فان بعضا منهن كن يمضين بعملائهن إلى فندق بوسيجور .

وكانت هناك امرأة بدينة جدا تقف بباب الفندق، وكانت تسد الباب بجسمها، وابتسمت له وهى تحسب انه قادم من أجلها ،

ثم عرفته وأعتذرت له .

وصعد السلم الخافت الضوء ، والفى صاحبة الفندق فى المكتب ، وكانت ترتدى ثوبا من الحرير الاسود ونظارة ذهبية ، وكان شعرها أحمر صارخا .

– اجلس .. هل تسمح لحظة ؟

ومضت إلى السلم وصاحت : منشفة للغرفة رقم ١٧ يا ايما .. وعادت وسألته قائلة : هل وجدت شيئاً ؟

– أريد أن تفحصى هذه الصور .

وأعطاها صور النساء التى انتقاها مويرز ، فنظرت إليها واحدة ، واحدة وهى تهز رأسها كل مرة . واعادتها إليه أخيرا قائلة :

– كلا . إنها ليست من هذا النوع أبداً . انها أكثر اصالة من هذه النسوة . ربما ليست أصيلة بمعنى الكلمة ، ولكننى أقصد أن اقول أنه يبدو انها امرأة محتشمة ، بينما صاحبات هذه الصور يبدو كأنهن من بائعات الهوى .

– وهؤلاء .

وأعطاها صور الرجال ذوى الشعور السوداء ، فهزت رأسها ثانية وقالت :

– كلا . انه ليس بينهم . لا أدرى كيف اقول لك . ان كل

هؤلاء يبدون كما لو كانوا أجانب حقا . ولكن مستر ليفين فى مقدوره أن ينزل بأحد الفنادق الكبرى بسان اليزيه دون أن يثير التفات أحد .

– وهذه ؟

وناولها المجموعة الأخيرة وهو يتنهد . وما أن نظرت إلى الصورة الثالثة حتى أجفلت وألقت إلى القوميسير نظرة جانبية وبدا عليها التردد :

– هل هو ؟

– ربما .. انتظر حتى اقترب من النور .

وأقبلت فتاة مع رجل وقفا فى الظل، عند السلم، فقالت لها:

– اذهبى إلى الغرفة رقم ٧ يا كليمانس . اننا فرغنا من اعدادها الآن .

وغيرت من وضع النظارة فوق أنفها ثم قالت :

– أكاد أقسم أنه هو ... ليته يتحرك .. لو أراه يمشى وهو يولينى ظهره فأننى أعرفه على الفور .

وكان موبرز قد كتب خلف الصورة ملخصا لحياة الرجل . وقد دهش ميجريه اذ رأى أنه بلجيكى الأصل كالمجلد . وكان معروفا بأسماء كثيرة ، ولم يستطع أحد التأكد من شخصيته الحقيقية ..

- اشكرك .

- أرجو أن تطلعنى على ما يتم . كان فى مقدورى أن أتظاهر بأننى لا أعرفه . ومن يدرى فلعله شديد الخطر ، وقد أتعرض أنا نفسى لخطر جسيم .

كانت قد تطيبت بصورة غريبة . وكانت رائحة البيت شديدة بحيث أن ميجريه سره أن يجد نفسه فى الشارع وأن يستنشق الهواء النقى ، تحت سيل المطر .

ولم تكن الساعة قد بلغت السابعة ، ولا ريب أن لابوانت الشاب قد لحق بأخته الآن لكى يروى لها ما حدث فى إدارة الأمن أثناء النهار كما أوصاه ميجريه .

كان شابا طيبا ، وإن كان لا يزال عصبيا بعض الشىء ، سريع التأثر، ولكنه سيكون شرطيا ممتازاً. وكان لوكاس فى مكتبه يبدو كقائد الاوركسترا يربطه التليفون بجميع الاقسام فى جميع أنحاء باريس وفى كل مكان آخر يبحثون فيه عن الثلاثة .

أما جانفييه فقد لازم الفونسى الذى عاد إلى شارع تورين وبقى ما يقرب من ساعة فى المحل مع فرناند .

وتناول القوميسير كأسا آخر من البرنود وهو يقرأ الملاحظات التى دونها مويرز والتى تعيد إلى ذاكرته بعض الذكريات .

«الفريد موس» بلجيكى الجنسية؟ فى نحو الثانية والأربعين

من عمره، قضى عشر سنوات يعمل بالفن فى أحد الكباريهات، ينتمى إلى فرقة بهلوانية معروفة باسم «وس وجيف وجو».

تذكر ميجريه هذه الفرقة .. وتذكر على وجه الخصوص واحدا من الثلاثة كان يقوم بدور البهلوان وهو مرتد ثيابا سوداء واسعة وحذاء أسود ضخما ، له ذقن زرقاء وفم كبير وباروكة خضراء .

كان الرجل يبدو مفكك المفاصل ، وبعد كل حركة بهلوانية كان ينهض وهو يتظاهر بأنه ثقيل الحركة بحيث يبدو أن شيئا به لابد قد انكسر .

«وقد عمل فى أغلب بلاد أوروبا، بل وفى الولايات المتحدة، حيث انضم إلى سيرك بارنوم وعمل به لمدة أربع سنوات .

« تخلى عن مهنته عقب حادث وقع له .

يتبع ذلك الأسماء التى عرفه بها البوليس فيما بعد .. موسلاير ، فلانديرن ، بترسون ، سميث وتوماس .. وقد ألقى القبض عليه بالتوالى فى لندن ومانشستر وبروكسل وامستردام، وثلاث أو أربع مرات فى باريس .

ولكنه لم يدان مع ذلك ولا مرة وذلك لعدم توافر الأدلة. وسواء القوا القبض عليه باسم أو بآخر فقد كان مزودا دائما بأوراق سليمة مستوفاة. وكان يتكلم أربع أو خمس لغات بطلاقة

بحيث كان يستطيع أن يغير جنسيته بسهولة ، كما يحلو له .
وقد طرد لأول مرة في لندن ، وكان ينتحل شخصية مواطن سويسري ويعمل مترجما في أحد الفنادق . وقد اختفت حقيبة مجوهرات من شقة رؤى خارجا منها ، ولكن صاحبة المجوهرات ، وهى أمريكية ، شهدت بأنها هى التى استدعته إلى غرفتها لكى يترجم لها خطابا جاءها من المانيا .
وبعد ذلك بأربع سنوات اشتبه فى أنه ارتكب حادث سرقة على الطريقة الأمريكية ، ولكنهم ، كالمرة السابقة ، لم يتمكنوا من إقامة الدليل على ذلك ، واختفى عن الحركة لمدة كبيرة .
وبعد ذلك اهتمت به ادارة المباحث العامة بباريس ، وذلك فى وقت كانت تجارة الذهب بين الحدود قائمة على نطاق واسع ، حيث أصبح موس معروفاً باسم جوزيف توماس وراح يتنقل بين فرنسا وبلجيكا .
عرك الحياة بحلوها ومرها ، فتارة يقيم فى فندق من فنادق الدرجة الأولى وأخرى فى فندق حقير . ومنذ ثلاث سنوات لا يعرف أحد عنه شيئا ، ولم يعرف أحد فى أى بلد يعيش ولا بأى اسم يعمل ، هذا اذا كان لا يزال يعمل .
وتوجه ميجريه إلى المقصورة الخاصة بالتليفون واتصل بلوكاس فى آخر الخط وقال له : إصعد إلى موبرز وسله عن كل

شىء يتعلق بالمدعو موس . قل له أنه واحد من الثلاثة . سوف يعطيك أوصافه . أرسل نداء عاما للبحث عنه ولكن لا تلقوا القبض عليه ، وأنما حاولوا ، إذا اهتديتم إليه الا تزعجوه . هل هذا مفهوم ؟

– نعم يا ريس. جاءتنى الآن اشارة أخرى بخصوص طفل ..

– أيـــــن ؟

– فى شارع دنفر روشيرو . وقد بعثت بأحد الرجال هناك ومازلت انتظر . لم يعد تحت يدى ما يكفى من الرجال . وجاءتنا كذلك اشارة من محطة الشمال، وذهب تورينس هناك .

أحس ميجريه بالرغبة فى أن يمشى قليلا ، تحت المطر ، ومضى إلى ميدان دانفر حيث نظر إلى المقعد الذى جلست عليه مدام ميجريه ، وكان الآن يقطر ماء ، وأمامه فى العمارة التى فى آخر شارع ترودين لافتة مكتوب عليها بالحروف الكبيرة «طبيب أسنان» ...

سوف يعود ، فهناك أمور كثيرة يريد القيام بها وترغمه زحمة العمل دائما على تأجيلها إلى اليوم التالى .

وركب أوتوبيسا ، وعندما بلغ بيته أدهشه أنه لا يسمع أى صوت فى المطبخ ولا يشم أية رائحة . ودخل مسكنه واجتاز غرفة الطعام فرأى أن الأطباق لم تعد بعد ، ورأى اخيراً مدام

ميجريه فى قميصها الداخلى وهى تنضو عنها جوربيها .

ولم تكن هذه عادتها ابداً ، ولهذا لم يجد ما يقوله لها . وانفجرت هى ضاحكة حين رأت عينيه المستديرتين الجاحظتين ، وقالت :

- هل أنت غاضب يا ميجريه ؟

وكان فى صوتها رنة من السرور تكاد تكون معادية لمن لا يعرفها . ورأى فوق الفراش أحسن ثيابها وقبعتها الثمينة التى تدخرها لايام الاعياد .

- يجب أن تقنع بعشاء بارد الليلة . تصور اننى انشغلت بحيث لم أجد وقتا لاعداد أى شىء ، ثم انك من النادر أن تعود لتناول الغداء هذه الأيام .

وراحت تدعك قدميها وهى جالسة فوق مقعدها وتنهدت فى أرتياح:

- أظن أننى لم أمش فى حياتى كلها كما مشيت اليوم .

ووقف بمعطفه وقبعته المبتلة فوق رأسه، ينظر إليها وينتظر .

وتركته ينتظر عبثا . وأخيراً قالت :

- بدأت بالمحلات الكبيرة على الرغم من اننى كنت شبه واثقة أن عملى هذا غير مثمر. ولكن من يدرى؟ .. ولم اشأ أن ارمى نفسى بالاهمال بعد ذلك فقطعت شارع لافاييت كله مشيا ومنه إلى شارع نوتردام دى لوريت فشارع بلانش وشارع كليشى

ثم هبطت إلى الاوبرا. وكل هذا مشيا على قدمى، على الرغم من أن الدنيا راحت تمطر، ويجب أن أقول لك أننى ذهبت أمس إلى حى دى فيرن والشانزليزيه ، وأن أقول لك كذلك ، ابراء لضميرى ، اننى كنت اعتبر هاتين الناحيتين غاليتين جدا .

ونطق أخيراً بالعبارة التى كانت تنتظرها منذ وقت طويل :

وعم كنت تبحثين ؟.

– عن القبعة ؟ ... ألم تفهم ؟ لقد أزعجتنى هذه القبعة ، ورأيت أن هذا العمل ليس من عمل الرجال . ان الثوب يبقى ثوبا ، خصوصا إذا كان أزرق ، أما القبعة فأمرها يختلف . وقد نظرت إلى هذه القبعة كثيراً ، فان القبعات البيضاء هى المودة السائدة هذه الأيام ، ولكن لا يمكن للقبعات أن تتشابه تماما .. هل تفهم ؟ .. ألا يزعجك أن تتناول الطعام باردا ؟ .. اننى أتيت بلحم بارد من المحل الايطالى .. جامبون وفطائر وأصناف أخرى لذيذة .

انها أفلحت فى مهمتها وإلا ما تكلمت بهذه اللهجة التى تنم عن سرورها ورضائها ، ولما سمحت لنفسها بأن تداعبه بهذه الطريقة . ورأى من الاوفق أن يتركها تتكلم كما يحلو لها ، وأن يحتفظ بمظهره المتذمر مادام هذا يسرها .

وارتدت ثوبا من الصوف، فى حين جلس هو على حافة الفراش

وقالت :

- كنت أعلم أنها قبعة لم تخرج من متجر كبير . وأنه ليس هناك داع لان أبحث فى شارع دى لابيه أو شارع سانت اونوريه أو شارع ماتينيون ، ثم انهم لا يعرضون شيئا فى الفترينات فى هذه المحلات ، وكان لابد لى من أن ادخل وأن أتظاهر بأننى أريد شراء قبعة . ولا أخالك تتصور أننى أجرب قبعات فى محل كارولين ريبو أو محل روز فالوا .

ومع ذلك فهى لم تكن قبعة عادية كغيرها من القبعات . كانت بين بين ... قبعة صنعتها صانعة قبعات مشهورة لها ذوق سليم .

ولهذا السبب رحت أطوف بالمتاجر الصغيرة ، وخصوصا تلك التى فى ميدان دانفر .

ورأيت مائة من القبعات البيضاء ، ومع ذلك فقد أثارت انتباهى قبعة رمادية اللون فى شارع كومارتان بمتجر هيلين وروزين .

كانت نفس القبعة ولكن بلون آخر ، وكنت متأكدة من أننى لم اخطىء . وقد قلت لك أن قبعة السيدة ذات الصبى لها حاشية من الحرير يبلغ عرضها ثلاثة أو أربعة سنتيمترات ، تحت العينين تماما. وكانت للقبعة الرمادية حاشية من نفس النوع .

- هل دخلت ؟

بذل ميجريه مجهوداً كبيراً لكى لا يبتسم لان هذه كانت أول مرة تتدخل فيها مدام ميجريه الخجولة فى احدى قضاياه ، وكانت بلا شك أول مرة تدخل فيها متجرا للقبعات بحى الأوبرا.

- هل يدهشك هذا ؟ .. هل تجد اننى امرأة بدينة . سمينة، لا أصلح لهذا العمل ؟ .. نعم ، دخلت ، وسألت بلهجة طبيعية إن كانت لديهم قبعة بيضاء من نفس النوع ؟

وأجابتنى صاحبة المتجر بالنفى ، وقالت أن لديهم قبعات زرقاء وصفراء وخضراء وأردفت تقول أنه كان لديها قبعة بيضاء وأنها باعتها منذ أكثر من شهر .

سألها محيرا : وماذا فعلت ؟

- قلت لها بعد أن أخذت نفسا طويلاً . هذه هى القبعة التى رأيتها على رأس صديقتى .

وكنت أنظر إلى المرآة ، فرأيت وجهى يضطرم ، وسألتنى السيدة فى شىء من الدهشة وفى غير تملق :

- هل تعرفين الكونتيسة .

- اننى التقيت بها ، ويسرنى لو أستطيع أن التقى بها ثانيا لاننى حصلت على معلومات تهمها ولا أستطيع الاتصال بها لاننى فقدت عنوانها .

- أظن أنها لا تزال ..
وكادت تمسك عن الكلام لأنها لم تكن واثقة منى تماما .
ولكنها لم تجرؤ على التزام الصمت وقال أخيراً :
- أظن أنها لا تزال فى الكلاريدج .
ونظرت مدام ميجريه إليه فى زهو وسخرية فى نفس الوقت، وشفتاها ترتجفان . ولعب ميجريه اللعبة حتى آخرها وزمجر قائلاً :
- أرجو ألا تكونى ذهبت لاستجواب بواب الكلاريدج .
- اننى أتيت هنا مباشرة . هل أنت غاضب منى ؟
- كـــــلا .
- اننى ضايقتك بهذه القضية كثيرا بحيث خطر لى أن أساعدك . والآن ، تعال وتناول طعامك قبل أن تذهب إلى هناك. وذكره هذا العشاء بأول عشاء تناولاه معا فى باريس عندما أتت إليها لاول مرة وأعجبت بكل الأطباق التى يقدمونها فى المطاعم الايطالية . وسألته تقول :
- هذا يفيدك ذلك ؟
- هذا إذا لم تكونى قد خلطت بين القبعة وبين أخرى غيرها .
- اننى واثقة منها ، بيد أننى لم أكن كذلك فيما يتعلق بالحذاء .
- وما قصة الحذاء ؟

– ان الواحدة منا عندما تجلس على مقعد فى مكان ما فان أول ما تقع عليه عيناها هو حذاء جارتها . وما أن نظرت إلى حذاء تلك السيدة حتى رأيت انها تضايقت ، وقد حاولت أن تخفى قدميها تحت المقعد .

– ولماذا ؟

– سأشرح لك الأمر يا ميجريه . لا تنظر إلى هكذا ، فليس الذنب ذنبك إذا كنت لا تفهم شيئا عن أمور النساء . لنفرض أن امرأة معتادة على ارتداء أحسن الثياب تحاول أن تظهر بمظهر المرأة العادية لكى لا يلحظها أحد . أنها تشترى عندئذ ثوبا بسيطا ، وهذا أمر يسير ، ويمكنها أن تشترى قبعة غير ثمينة ، مع أننى لم أكن متأكدة من أمر القبعة .

– ماذا تعنين ؟

– أعنى أن القبعة كانت لديها من قبل بلاشك ، وأنه خطر لها أنها أشبه بغيرها من القبعات التى ترتديها فتيات الطبقة العادية . يمكنها أن تخلع مجوهراتها ولكن هناك شيئا لا تستطيع أن تألفه بسهولة، وأعنى به الحذاء الجاهز، فان المرأة إذا انتعلت حذاء غاليا من المحلات الفاخرة تشعر بأن قدميها رقيقتان مرهفتان. وأنت قد سمعتنى أشكو كثيرا لكى تعرف أن أقدام النساء حساسة بحيث أن السيدة تحتفظ بحذائها وهى

تظن أن احداً لن يلحظه . وهذا خطأ تافه لانه أول شيء تقع عليه عيني . والعكس هو الذى يقع عادة ، فاننا نرى نساء انيقات يلبسن ثوبا ثمينا أو معطفا من الفرو وحذاء رخيصا .

- وهل كانت ترتدى حذاء غاليا ؟

- كانت ترتدى حذاء صنع على مقاسها بالذات ويدل شكله على أنه غالى الثمن .

وبعد أن فرغ من تناول عشائه شرب كأسا ودخن غليونه . وسألته إذ رأته يتأهب للخروج :

- أذاهب أنت إلى الكلاريدج ؟ .. هل ستتأخر ؟

واستقل سيارة اجرة حملته إلى الفندق ، فى ميدان الشانزليزيه ، ومضى إلى مكتب البواب .. وكان بواب الليل ، وكان يعرفه منذ سنوات ، وكان هذا افضل لان بوابى الليل يعرفون عن العملاء أكثر مما يعرفه بوابو النهار .

وكان وصوله إلى مثل هذا المكان يحدث نفس الاثر دائما ، ورأى الموظفين والمدير وحتى صبية المصاعد يقطبون وجوههم وهم يتساءلون عما هناك لانهم لا يحبون الفضائح فى الفنادق الكبيرة، وقدوم قوميسير البوليس الجنائى كان لا يبشر بالخير أبداً .

- كيف حالك يا بنوا ؟

– لا بأس به يا مسيو ميجريه .. ان الامريكان بدأوا يظهرون من جديد .

– أما زالت الكونتيسة بانيتى مقيمة بالفندق .

– بل غادرته منذ شهر. هل تريد أن أتحقق من اليوم بالتدقيق ؟

– هل رافقتها أسرتها ؟

– أية أسرة ؟

كان الوقت هادئاً ، وأغلب الناس فى الخارج ، فى المسارح أو المطاعم . وفى ضوء النور الذهبى وقف صبية الفندق بجوار أعمدة الرخام ، تهتز أيديهم وهم يراقبون القوميسير ، وكانوا جميعا يعرفونه .

– لم أعرف لها أسرة أبداً .. انها تنزل هنا منذ سنوات و..

– قل لى . هل سبق أن رأيت الكونتيسة ترتدى قبعة بيضاء ؟

– طبعا . جاءتها واحدة قبل رحيلها بأيام .

– وهل كانت ترتدى تاييرا أزرق ؟

– كلا . لاشك أنك تخلط بينها وبين سيدة أخرى يا مسيو ميجريه . ان التى ترتدى التايير الأزرق هى خادمتها أو وصيفتها .. أعنى الفتاة التى رحلت معها .

– ألم تر الكونتيسة ترتدى تايير أزرق أبداً .

- لو أنك عرفتها لما ألقيت هذا السؤال .

اخرج ميجريه من جيبه صور النساء التى اخذها من مويرز وقال : هل هناك من يشبهها بين هؤلاء النسوة .

نظر بنوا إلى القوميسير فى دهشة وقال : هل أنت واثق انك غير مخطىء ؟ .. هذه صور نساء لم يتجاوزن الثلاثين من العمر فى حين أن الكونتيسة تجاوزت السبعين . يمكنك أن تستعلم عنها من زملائك فى قلم المخدرات لانهم يعرفونها من غير شك.. اننا نرى من العملاء من هم غريبو الأطوار حقا ، والكونتيسة تفوق الجميع غرابة .

- هل تعرف من هى أولاً ؟

- هى أرملة الكونت بانيتى ، رجل الذخيرة والصناعات الثقيلة فى أيطاليا ، وهى تعيش فى كل مكان تقريبا .. فى باريس وكان ومصر ، وأظن أنها تقضى موسما فى فيشى كل عام .

- هل تشرب ؟

- أنها تستبدل الماء بالشمبانيا ولا أستغرب إذا قيل لى أنها تغسل أسنانها بالويسكى . وهى ترتدى الثياب كما لو كانت لا تزال فتاة وتتخضب كما لو كانت عروسا ، وتقضى أكبر جزء من لياليها فى الكباريهات .

- وخادمتها ؟

- انني لا أعرفها كثيرا ، لان الكونتيسة تغيرهن دائما ، ولم أر هذه الأخيرة إلا هذه السنة . كان لديها في العام الماضي فتاة أخرى شقراء كانت تشتغل بالتدليك أصلاً لان الكونتيسة كانت تحب التدليك يوميا .

- هل تعرف اسم تلك الفتاة ؟

- اسمها جلوريا ، أما لقبها فلا أعرفه . لم تعد بطاقتها لدي ، ولكنهم سيخبرونك بما تريد في المكتب . ولا أعرف إذا كانت إيطالية أو من الجنوب ، بل لعلها من تولوز .

- أهي سمراء ؟

- نعم . وأنيقة جدا وجميلة ومهذبة . وكنت لا أراها كثيرا. لم تكن تقيم في جناح الخدم وإنما مع سيدتها ، وكانت تتناول طعامها معها .

- ألم يكن هناك رجال يقيمون مع الكونتيسة ؟

- لم يكن هناك غير صهرها . وكان يأتي لكي يراها من وقت لآخر .

- متـــى ؟

- قبل رحيلها بقليل . وإذا أردت التاريخ بالتحديد فيمكنك أن تلجأ إلى مكتب الاستقبال . ولكنه لم يكن يقيم بالفندق .

- هل تعرف اسمه ؟
- أظن أنه كرينكر .. وهو تشيكى الاصل أو لعله هنغارى.
- أسمر ، بدين ، فى نحو الأربعين من عمره ؟
- كلا . بل أشقر ، وأصغر سنا .. لم يتجاوز الثلاثين عاما. وقطع عليهما الحديث بعض الامريكان هبطوا وهم بثياب السهرة وأعادوا مفاتيحهم وطلبوا من البواب أن يأتيهم بسيارة أجرة .
- ولكننى أعتقد أنه ليس صهرها حقا .
- هل كانت لها مغامرات ؟
- لا أدرى .. لن أقول لا ولا نعم .
- هل حدث لصهرها أن قضى الليل هنا .
- لا ولكنهما خرجا معا مرارا كثيرة .
- والوصيفة ؟ .. هل كانت ترافقهما ؟
- لم تكن تخرج مع الكونتيسة ليلا أبداً .. بل أننى لم أرها حتى فى ثياب السهرة .
- هل تعرف أين ذهبتا ؟
- أظن أنهما سافرتا إلى لندن .. ولكن مهلا .. أظن أننى أتذكر شيئاً .. أرنست .. تعال هنا .. لا تخف ... ألم تترك الكونتيسة بانيتى حقائبها الكبيرة ؟
- بلى يا سيدى .

قال البواب موضحا : يحدث أحياناً أن يترك عملاؤنا الذين يكثرون من التنقل بعض أمتعتهم هنا . ولدينا مخزن لهذا الغرض بالذات . وقد أودعت الكونتيسة حقائبها فيه .

– ألم تذكر متى تعود ؟

– لا. أعلـــم .

– هل غادرت الفندق بمفردها ؟

– غادرته مع وصيفتها .

– فى سيارة أجرة ؟

– يجب أن تسأل زميلى ، بواب النهار فى ذلك . وستجده غدا ، ابتداء من الساعة الثامنة صباحا .

أخرج ميجريه صورة موس من جيبه . ولم يلق البواب عليها غير نظرة عابرة ثم قطب جبينه وقال :

– لن تجده هنا .

– هل تعرفه ؟

– هو باترسون ، وقد عرفته باسم موسلير ، عندما كنت أعمل فى ميلانو ، منذ خمسة عشر عاما . انه معروف فى كل الفنادق الكبرى » ولن يخطر له أن يلجأ إليها لانه يعرف أنهم لن يرحبوا به ولن يسمحوا له حتى بعبور البهو .

– ألم تره هذه الأيام الأخيرة ؟

– كلا. لو اننى التقيت به. فسأبدأ بمطالبته بأن يرذ لى المائة ليرة التى اقترضها منى فيما سبق والتى لم يردها لى حتى اليوم.

– هل لدى زميلك تليفون ؟

– يمكنك دائما أن تحاول الاتصال به فى فيللته بسان كلود ، ولكن من النادر أن يرد ، فهو لا يحب أن يزعجه أحد بالليل ، ثم إنه يرفع السماعة فى أغلب الاوقات .

ومع ذلك فقد رد على ميجريه على الفور ، وسمع هذا الأخير صوت موسيقى عبر أسلاك التليفون . وقال :

– يمكن لرئيس المخزن أن يكون أكثر دقة . لا أتذكر أننى أستدعيت لها سيارة اجرة ، وعندما تغادر الكونتيسة الفندق أتولى أنا عادة شراء تذاكر البولمان أو الطائرة .

– ألم تشتر لها التذاكر هذه المرة ؟

– كلا . وقد أدهشنى هذا .. لعلها رحلت فى سيارة خاصة .

– هل تعلم إذا كان صهرها ، ذلك المدعو كرينكر يمتلك سيارة؟

– طبعا. سيارة كبيرة، أمريكية الطراز ، بلون الشيكولاتة.

– أشكرك . سأراك غدا بلا ريب .

ومضى إلى مكتب الاستقبال ، وراح المدير يبحث بنفسه بين البطاقات وقال :

– انها غادرت الفندق فى مساء ١٦ فبراير .. وها هى

فاتورتها .

- هل كانت بمفردها ؟

- أرى بفاتورتها أنها تناولت الغداء فى ذلك اليوم مع شخص آخر . ويتضح من هذا أنها تناولته مع وصيفتها .

- هل لك أن تستودعنى هذه الفاتورة ؟

كان مسجلا بها مصاريف اقامة الكونتيسة يوما بيوم ، وقد رأى ميجريه أن يدرسها بامعان وهدوء . وقال المدير :

- على شرط أن تعيدها إلى والا تسببت لى فى مضايقات مع رجال الضرائب . وبهذه المناسبة ، لماذا يهتم رجال البوليس بالكونتيسة بانيتى .

وكان ميجريه مشغول الذهن فأوشك أن يقول : ان زوجتى هى السبب ولكنه استدرك وقال متذمرا :

- لا أدرى بعد ... بسبب قبعة .

(٦)

لقاء مع فرناند

دفع ميجريه الباب الدوار فكشف عن انوار الشانزليزيه التى كانت تذكره دائما ، تحت قطرات المطر بعيون دامعة . وكان يهم بالهبوط على قدميه إلى الميدان عندما قطب حاجبيه ، فقد رأى عند جذع شجرة ، بجوار بائعة زهور ، وقفت تحتمى عندها ، جانفيبيه ينظر إليه وهو فى حالة يرثى لها ويثير الضحك . وكان يبدو أنه يريد أن يقول له شيئا فمضى إليه وسأله :

- ماذا تفعل هنا ؟

أشار المفتش إلى شخص خلف احدى الفترينات .. ولم يكن غير الفونسى ، وكان يبدو كما لو كان منهمكا فى فحص احدى الحقائب ، وقال :

- انه يتعقبك بحيث اضطررت إلى أن أتعقبك أنا الآخر .

- هل رأى ليوتار بعد انصرافه من شارع تورين ؟

- كلا . ولكنه تحدث معه فى التليفون .

– دعه وشأنه . هل تريد أن أوصلك ؟

كان جانفييه يقيم على مقربة منه بشارع ريومور .

ورآهما الفونسى ينطلقان معا ، وبدا مشدوها مرتبكا ، وفيما كان ميجريه يستدعى سيارة أجرة ، رأى أن يكف عن تعقبه ، وابتعد صوب ميدان الاتوال .

– هل من جديد ؟

– بل هناك الكثير ؟

– هل أتعقب الفونسى غدا أيضا ؟

– كلا . امضى إلى المكتب . سيكون هناك عمل للجميع من غير شك .

وعندما هبط جانفييه أمام بيته قال ميجريه للسائق : اذهب بى إلى شارع تورين .

لم يكن الوقت متأخراً ، وكان يأمل فى شىء من الغموض، أن يرى نورا فى محل المجلد ، لانه سيستطيع أن يثرثر عندئذ مع فرناند كما يحلو له .

وبسبب انعكاس على الزجاج هبط من السيارة ، ولكنه لم يلبث أن رأى الظلام مخيما بالداخل فتردد فى طرقه ومضى فى طريقه إلى ادارة الامن حيث كان تورينس يقوم بالمناوبة ، وزوده بتعليماته .

وكانت مدام ميجريه قد أوت إلى فراشها عندما عاد على أطراف قدميه . وفيما هو ينضو عنه ثيابه فى الظلام لكى لا يوقظها سألته تقول :

- والقبعـــة ؟

- لقد اشترتها الكونتيسة بانيتى فعلا .

- وهل رأيتها ؟

- كلا . ولكنها فى نحو الخامسة والسبعين من العمر .

وتمدد فوق الفراش متكدر المزاج ، مهموما . وكانت الدنيا لا تزال تمطر عندما صحا من نومه، وجرح نفسه وهو يحلق ذقنه.

وقال يسأل زوجته وهى تقدم له طعام الإفطار :

- هل تستمرين فى أبحاثك ؟

أجابته بلهجة الجد :

- هل هناك ما تريد ؟

- لا أدرى .. ولكن الآن وقد بدأت ...

واشترى جريدته فى شارع فولتير ، ولم يجد فيها أية تصريحات جديدة لفيليب ليوتار ، ولا أى تحد جديد . وكان بواب الليل بفندق كلاريدج كتوما لان الجرائد لم تتحدث عن الكونتيسة بانيتى .

وهناك ، فى إدارة الامن ، كان لوكاس قد حل محل تورينس

فزوده بتعليماته . وراحت الآلة تدور .. كانوا يبحثون الآن عن الكونتيسة بانيتى ، على ساحل الكوت دازور ، وفى العواصم الاوروبية ، وراحوا يهتمون فى نفس الوقت بكرينكر والوصيفة.

وفى موقف الاوتوبيس ، وقف رجل ، فى حمى من المطر الذى راح يهطل ، وأخذ يطالع جريدته . وكان هناك عنوان كبير فى صدر الجريدة جعل القوميسير يحلق فى جو من الاحلام :

«التحقيق يتخبط»

كم شخصا فى هذه اللحظة بالذات يحققون فى هذه القضية؟.. كانوا يراقبون محطات السكك الحديدية، والموانىء والمطارات، ويستمرون فىّ تفتيش الفنادق والغرف المفروشة ، لا فى فرنسا وحدها ولكن فى لندن ، وبروكسل وامستردام وروما .. بحثا عن الفريد موس .

هبط ميجريه ميدان تورين ودخل محل فوج لكى يشترى علبة سجائر ، ولكى يشرب فى نفس الوقت كأسا من النبيذ الأبيض . ولم يكن هناك صحفيون بالمكان وإنما اجتمع بعض أهالى الحى وراحوا يتكلمون ويتناقشون فيما بينهم .

وكان باب ورشة التجليد مغلقا فطرقه ، ولم يلبث أن رأى فرناند تصعد من القبو عبر السلم الحلزونى وقد جمعت شعرها فى حلقات كما تفعل مدام ميجريه . وترددت حين عرفته خلال

الزجاج ، ولكنها تقدمت أخيراً وفتحت له :

- أريد أن أتحدث معك لحظة .

وكان الجو رطبا فى السلم لان المرمد لم يشتعل .

- تفضل بالهبوط .

وتبعها إلى المطبخ ، وكانت منهمكة فى العمل عندما طرق الباب ، وكان التعب باديا عليها هى الأخرى ، وعيناها تعكسان ما يخامرها من يأس . وقالت

- هل تريد فنجانا من القهوة ؟ ... اننى أعددتها لتوى .

وقبل . وجلس بجوار المائدة . وجاءت أخيراً وجلست بجواره وهى تضم طرفى ثوبها حول ساقيها العاريتين .

- لقد جاءك الفونسى أمس مرة أخرى ، فماذا كان يريد ؟

- لا أدرى . انه يلقى نفس الأسئلة التى تلقيها أنت ، ويوصينى أن أكون منك على حذر .

- هل تحدثت معه عن محاولة التسمم ؟

- نعم .

- لماذا ؟

- انك لم تطلب منى أن أتكتم أمرها ، ولا أدرى كيف جاء ذلك فى الحديث . انه يعمل من اجل ليوتار ، ومن الطبيعى أن يكون هذا الأخير على علم بكل شىء .

– ألم يأت أحد آخر لزيارتك ؟

خيل له أنها ترددت . ولكن قد يكون ذلك رد فعل للتعب الذى تعانيه .وكانت قد تناولت فنجانا من القهوة ، ولا ريب أنها تحاول أن تتماسك بالقهوة .

– كلا . لا أحد .

– هل قلت لزوجك انك لن تذهبى إليه بالطعام بعد اليوم ؟ .. وهل ذكرت له السبب ؟

– تمكنت من ابلاغه بذلك وأشكرك .

– ألم يكلمك أحد فى التليفون ؟

– كلا . سمعت رنين الجرس مرة أو مرتين ، ولا أكاد أصعد حتى يكف الرنين .

أخرج صورة الفريد موس من جيبه عندئذ وسألها : هل تعرففين هذا الرجل ؟

نظرت إلى الصورة ثم إلى ميجريه ، وأجابت بكل بساطة : نعم ، فهو الفريد ، أخو زوجى .

– متى رأيته آخر مرة ؟

– أننى أراه فيما ندر . تمر أحياناً سنة دون أن أراه ، فهو يعيش فى أغلب الأوقات فى الخارج .

– هل تعرفين أى عمل يزاول ؟

- ليس تماما . ولكن فرانز يقول أنه مسكين ... فاشل ، لم يحالفه الحظ أبداً .

- ألم يحدثك عن مهنته ؟

- أعرف أنه اشتغل فى السيرك فى وقت من الأوقات ، وانه كان بهلوانا ، ولكنه وقع وانكسر عموده الفقرى .

- وبعد ذلك ؟

- سمعت أنه يعمل وكيلا للممثلين .

- هل قيل لك أن اسمه ليس ستوفيل كزوجك وإنما موس . هل فسر زوجك لك ذلك ؟

- نعـــم .

وسكتت لحظة مترددة . ونظرت إلى الصورة التى تركها ميجريه فوق المائدة ، على مقربة من فناجين القهوة ، ثم نهضت لك تطفىء موقد الغاز ، وقالت :

- لا ريب اننى خمنت الحقيقة شيئا ما . ولعلك إذا سألت فرانز فى هذه النقطة تعلم منه أكثر . أنك تعرف أن أهله كانوا فقراء جداً ، ولكن ليست هذه كل الحقيقة ، والواقع أن أمه كانت تزاول، فى جاند، نفس العمل الذى كنت أزاوله أنا هنا. ثم أنها كانت تدمن الشراب فوق ذلك ، ولعلها أصيبت بلوثة لانها انجبت ستة أولاد أو سبعة ، ولم تكن تعرف أغلبهم .

وقد اختار فرانز فيما بعد اسم ستوفيل ، وكانت امه تدعى موسلير .

- هل ماتت ؟

- أظن ذلك ، فهو يتجنب الحديث عنها .

- وهل بقى على صلة باخوته واخواته ؟

- لا أظن ذلك . لا يوجد غير الفريد الذى يأتى من وقت لآخر ليراه فيما ندر . ولا ريب أنه عرف الحياة بحلوها ومرها لانه يأتى أحيانا وهو فى منتهى الاناقة ، يبدوعليه الثراء ويهبط من سيارة أجرة أمام المحل ، ويداه محملتان بالهدايا وأحيانا أخرى فى حالة يرثى لها .

- متى رأيته لآخرمرة ؟

- دعنى أفكر .. منذ شهرين تقريبا .

- وهل بقى لتناول الغداء ؟

- نعم . كعادته .

- ألم يحاول زوجك اقصاءك عند زيارته ، بأية حجة ؟

- كلا. ولماذا ؟ كان يحدث أن يبقيا وحدهما فى المحل، ولكننى كنت أستطيع أن أسمع ما يقولان وأنا فى المطبخ، تحت.

- وفيما كان يدور حديثهما ؟

- فى لا شىء على وجه الخصوص . كان موس يتكلم عادة عن الوقت الذى كان يعمل فيه بهلوانا '، وعن البلاد التي زارها، وكان هو الذى كان يتكلم دائما تقريباً عن حداثتهما وعن أمهما . وقد عرفت بعض المعلومات بهذه الطريقة .

- أظن أن الفريد هو الاصغر .

- بثلاث أو أربع سنوات . وكات يحدث أن يخرج فرانز بعد ذلك ويرافقه حتى آخر الشارع . وتلك هى اللحظة الوحيدة التى لا أكون فيها معهما .

- ألم يتكلما عن العمل أبداً ؟

- أبـــدا .

- ألم يأت الفريد أبدا وبرفقته بعض الأصدقاء أو الصديقات؟

- كنت أراه وحده دائما . وأظن أنه تزوج مرة ، ولكننى لست واثقة . يخيل لى أنه أشار إلى هذا الموضوع ذات مرة . مهما يكن فقد أحب امرأة وتعذب من أجلها .

كان الجو رطبا وهادئاً فى المطبخ الصغير ، ولم يكن من المستطاع رؤية أى شىء فى الخارج . وكان لابد من اضاءته طوال النهار . وكان ميجريه يؤثر أن يرى فرانز ستوفيل أمامه وأن يتحدث معه كما يتحدث مع زوجته .

- قلت لى حين أتيت آخر مرة أنه لم يكن يخرج وحده تقريبا . ومع ذلك فقد كان يذهب إلى البنك من وقت لأخر .

- ولكننى لا أدعو ذلك خروجا ، فان البنك على بعد خطوتين، ولم يكن يتعين عليه إلا اجتياز ميدان فوج .

- وبمعنى آخر تبقيان معا من الصباح حتى المساء .

- تقريبا . كنت أذهب وأشترى ما أحتاج إليه من السوق من الحى المجاور ، ولكن كان يحدث أن اذهب مرة كل شهر لكى اشترى ما أحتاج إليه من وسط المدينة .

- ألا تذهبين لزيارة أسرتك أبداً ؟

- ليس لى غير أمى واختى فى كونكارنو ، وكان لابد لى من تلك البرقية لكى اذهب لزيارتهما .

بدا كأن شيئا ما كدر ميجريه لانه قال : ألم يكن هناك يوما معينا تخرجين فيه ؟

- كلا ، فيما عدا يوم الغسيل بالطبع .

- ألا تغسلين الثياب والمفروشات هنا ؟

- وأين تريد منى أن اقوم بذلك ؟ .. كان يجب أن اذهب لاحضار الماء من فوق ، ولا أستطيع أن انشر الغسيل فى المحل فهو لن يجف فى القبو . اننى امضى إلى المغسل ، على شاطىء السين مرة كل أسبوع صيفا وكل أسبوعين شتاء .

– فى أى مكان ؟

– فى ميدان فيرجالان، تحت الجسر. وأقضى هناك نصف يوم، ثم أذهب فى صباح اليوم التالى لاحضار الغسيل بعد جفافه .

بدأ ميجريه يحس بشىء من الارتياح ، وراح يدخن غليونه فى سرور وقد اتقدت عيناه ، وقال :

– معنى هذا ان فرانز يبقى وحده هنا يوما فى الأسبوع صيفا ويوما كل اسبوعين شتاء ؟

– انه لا يبقى وحده اليوم كله .

– هل تذهبين إلى المغسل صباحا أو بعد الظهر ؟

– بعد الظهر . حاولت أن أذهب فى الصباح ، ولكن تعذر على ذلك بسبب الطبيخ وأعمال البيت .

– هل معك مفتاح البيت ؟

– نعـــم .

– هل حدث أن استخدمته في بعض الأحيان ؟

– ماذا تعنى ؟

– هل حدث ذات مرة أنك لم تجدى زوجك فى المحل عند عودتك .

– حدث هذا مرة أو مرتين .

– حديثا ؟

كانت قد فكرت فى هذا الأمر هى الأخرى لانها ترددت قبل أن تقول : فى الاسبوع الذى ذهبت فيه إلى كونكارنو .

- وهل عاد بعد عودتك بوقت طويل ؟

- كلا ... بعد ساعة تقريبا .

- ألم تسأليه أين ذهب ؟

- اننى لا أسأله أبدا فهو حر فى حركاته ولا ألقى عليه أى سؤال .

- ألا تعرفين إذا كان قد غادر الحى ؟.. ألم تشعرى بأى انزعاج ؟

- كنت واقفة بعتبة الباب عندما عاد . رأيته يهبط من الاوتوبيس فى شارع جران بورجوا .

- وهل كان الأوتوبيس قادما من وسط المدينة أو من ناحية الباستيل ؟

- من وسط المدينة .

- أظن أن الاخوين لهما نفس القامة كما يبدو من هذه الصورة؟

- نعم . ان الفريد يبدو انحف لان وجهه رفيع ، ولكن جسده قوى العضلات . انهما لا يتشابهان فى شىء إلا فى الشعر فهو أشقر كفرانز ولكن الشبه يبدو بينهما غريبا من

ظهريهما مع ذلك . وقد حدث لى مرة أن خلطت بينهما .

– ماذا كان الفريد يرتدى فى المرات التى رأيته فيها ؟

– سبق أن قلت لك ذلك .

– هل تظنين أنه اقترض مالا من أخيه .

– اننى فكرت فى هذا الأمر ، ولكن يبدو لى أنه مجرد احتمال لان ذلك لم يحدث أمامى على كل حال

– ألم يكن يرتدى بدلة زرقاء فى آخر مرة رأيته فيها ؟

حدقت فيه وقد أدركت ما يرمى إليه وقالت : اننى أكاد أكون واثقة من أنه كان يرتدى بدلة غامقة اللون ، ولكنها سمراء أكثر منها زرقاء . ان المرء إذا ما ظل يعيش بين الانوار الصناعية يختلط عليه الأمر .

– كيف تدبران أمركما بالنقود ، أنت وزوجك ؟

– أية نقود ؟

– هل كان يعطيك مصروف البيت كل شهر ؟

– كلا . كنت أطلب منه ما أريد عندما يفرغ ما معى .

– أما كان يحتج أبدا ؟

تورد وجهها وأجابت: أنه كان شارد الذهن، وكان يخيل إليه دائما أنه أعطانى نقودا بالامس، وكان يقول لى «تانى»؟..

– وحاجياتك الخاصة ؟ .. ثيابك وقبعاتك ؟

– اننى أنفق القليل كما تعلم .

وسألته بدورها كما لو كانت قد انتظرت هذه اللحظة منذ وقت طويل :

– اسمع ايها القوميسير .انا لست ذكيه جداً ، ولكننى لست غبيه كذلك ، انك استجوبتنى أنت ومفتشوك ، وكذلك الصحفيون وغيرهم من المتعهدين وأهل الحى . بل أن فتى فى السابعة عشرة من عمره يبدو أنه مخبرا استوقفنى فى الشارع وألقى على أسئلة اعدها من قبل فى دفتر صغير ، فأجبنى الآن بصراحة : هل تظن أن فرانز مذنب ؟

–مذنب بأى شىء ؟

– انك تعرف ما أعنى تماما ... هل تظن أنه قتل رجلا واحرق جثته فى المرمد ؟

تردد . كان فى مقدوره أن يقول لها أى شىء ، ولكنه حرص على أن يكون صريحا فقال : لا أدرى .

– إذا كان الأمر كذلك فلماذا تبقونه فى السجن .

– ليس هذا من شأنى أولا وإنما هو من شأن قاضى التحقيق، ثم لا تنسى أن كل الأدلة المادية ضده .

قالت ساخرة : الاضراس ؟

– وبقع الدم التى فوق السترة الزرقاء على وجه الخصوص...

ثم ، لا تنسى كذلك الحقيبة التى اختفت .

- والتى لم أرها .

- لا أهمية لهذا فقد رآها غيرك .. احد مفتشى البوليس على الأقل . ثم هناك تلك البرقية المزيفة التى تسببت فى إبعادك عن المحل فى ذلك الوقت بالذات . ولكننى أقول لك الآن لو أن الأمر يتعلق بى أنا لآثرت أن أرى زوجك مطلق السراح ، وان كنت أتردد فى إطلاق سراحه لصالحه هو . ألم ترى ما حدث بالامس ؟

- نعم . اننى أفكر فى هذا الامر بالذات .

- سواء كان مذنبا أو بريئاً فيبدو أنه يضايق بعض الناس .

- لماذا جئتنى بصورة أخيه ؟

- لانه . على عكس ما تعقدين ، مجرم شديد الخطر .

- هل قتل أحداً ؟

- هذا غير محتمل ، فإن هذا النوع من الرجال نادرا ما يقدمون على القتل . ولكن بوليس ثلاث دول يبحثون عنه ، وهو يعيش منذ خمسة عشر عاما من نتاج السرقة والنصب والإحتيال. أيدهشك هذا ؟

- كــــلا .

- هل سبق أن فكرت فى هذا ؟

- عندما قال لى فرانز أن أخاه تعيس خيل لى أننى فهمت انه استخدم كلمة تعيس فى غير معناها الحقيقى . هل تعتقد أن الفريد قمين باختطاف طفل ؟

- أقول لك مرة أخرى أننى لا أدرى . وبهذه المناسبة ، هل سبق أن سمعت عن الكونتيسة بانيتى ؟

- ومن هى ؟

- إيطالية غنية كانت تقيم فى فندق كلاريدج .

- هل اشتركت فى قتل أحد هى الأخرى ؟

- هذا محتمل . ويحتمل أيضاً أنها تقضى الموسم فى كان أو فى نيس ، سأعرف هذا مساء اليوم . ولكننى أريد القاء نظرة أخرى على دفاتر حسابات زوجك .

- تعال . ان لدى أسئلة كثيرة أريد إلقاءها عليك ، ولا تحضرنى الآن . ولا أتذكرها إلا بعد انصرافك . يجب أن ادونها كما يفعل ذلك الشاب الذى يهوى مهنة المخبر السرى .

وأفسحت له الطريق لكى يهبط السلم . وأخذت من فوق الرف دفترا كبيرا أسود فحصه البوليس قبل ذلك خمس أو ست مرات . وكان فى آخره فهرست صغير بأسماء عملاء المجلد ، ولم يكن اسم بانيتى بينهم ، ولا أسم كرينكر كذلك .

- ألم تسمعى اسم كرينكر أبداً ؟

- كلا ، بقدر ما أذكر . كنا نقضى معا طول الوقت ، ولكننى لم أكن أعتقد أنه يحق لى أن القى عليه أى سؤال ، ويبدو أنك نسيت يا سيدى أننى لست كغيرى من السيدات ، ولا تنس من أين انتشلنى ، وطالما ادهشتنى حركته هذه . ويخيل لى الآن ، بسبب حديثنا هذا ، أنه ربما فعل ما فعل وهو يفكر فى أمه .

ومضى ميجريه ، كما لو كان لا يصغى إلى الباب وفتحه فجأة . وامسك بالفرنسى من ياقة معطفه وقال له :

- أنت هنا ؟ ،، هل تبدأ .. رهل استقر رأيك على أن تتبعنى كظلى ؟

حاول الآخر أن يتبجح ، ولكن قبضة ميجريه كانت من حديد ، وأخذ يهزه وهو يقول :

- ماذا تفعل هنا ؟ هل لك أن تقول لى ذلك ؟

- كنت أنتظر أن تنصرف .

- لكى تزعج هذه المرأة .

- هذا حقى .. مادامت تقبل أن تستقبلنى .

- ماذا تريد ؟

- سل مسيو ليوتار .

- اننى لا أحفل بليوتار ، وأنبهك الآن إلى شىء .. اذا وجدتك

فى أعقابى مرة أخرى فسألقى القبض عليك بتهمة التشرد وإحتراف القوادة .

ولم يكن قوله هذا تهديدا فى الهواء ، فقد كان ميجريه يعلم أن المرأة التى تعيش مع الفونسى تقضى أغلب لياليها فى كباريهات وأنها لاتتردد فى الذهاب مع الاغراب إلى فنادقهم .

وعندما عاد إلى فرناند كان يشعر بالارتياح . أما المفتش السابق فكان يسرع ، تحت المطر ، نحو ميدان فوج .

– أى نوع من الأسئلة يلقيها عليك ؟

– نفس الأسئلة دائما . يريد أن يعرف ماذا تسألنى أنت وبماذا أرد عليك وما الذى يهمك، وما هى الأشياء التى فحصتها.

– أظن أن سيدعك وشأنك بعد الآن .

– هل تظن أن مسيو ليوتار يضر بزوجى .

– مهما يكن فلا يسعنا إلا أن نتركه يفعل ما يريد بعد أن بلغ الأمر ما بلغ .

واضطر إلى أن يهبط مرة أخرى لانه نسى صورة موس على مائدة المطبخ . وبدلا من أن يمضى إلى إدارة الامن عبر الشارع ودخل محل الاسكافى .

وكان هذا قد شرب كئوسا كثيرة على الرغم من أن الساعة

لم تتجاوز التاسعة صباحا ، وراحت رائحة النبيذ الابيض تفوح من بين شفتيه ، وقال :

– حسنا يا سيدى القوميسير . هل يتقدم التحقيق ؟

وكان المحلان ، يقع كل منهما أمام الآخر تماما حيث كان كل من صاحبيهما يرى الآخر إذا ما رفع عينيه عن عمله . وسأله ميجريه :

– هل تتذكر شيئا عن بعض عملاء المجلد ؟ .. هذا مثلا ؟

ووضع الصورة تحت أنف الرجل فى حين كانت فرناند تنظر إليهما فى قلق :

وقال الاسكافى : اننى ادعوه المهرج .

– ولماذا ؟

– لا أدرى . لاننى أجد أنه يشبه المهرج .

وحك رأسه فجأة ، وبدا كأنه اكتشف شيئا هاما وقال : اسمع. قدم لى كأسا فانى أظن أن لدى من المعلومات ما يساوى ذلك . ومن حسن الحظ أنك عرضت على هذه الصورة . اننى حدثتك عن المهرج وقد ذكرتنى هذه الكلمة بحقيبة ، لان المهرجين من عاداتهم الظهور على خشبة المسرح وفى أيديهم حقيبة ، فهل تقدم لى كأساً ؟

– بعد أن تتكلم .

- هل أنت متشكك ؟ ... إنك مخطىء فانا رجل صريح دائما . حسنا . ان الرجل الذى أريتنى صورته هو صاحب الحقيبة بدون شك .

- أى حقيبة ؟

غمز الاسكافى له بعينه فى خبث وقال : لا تتلاعب معى . اننى اقرأ الجرائد ، وقد تكلمت عن الحقيبة فى أول الأمر ، ثم اقبل رجالك وسألونى إذا لم أكن قد رأيت فرانز يخرج ومعه حقيبة .. هو أو زوجته أو أى شخص آخر .

- وهل رأيت صاحب الصورة يخرج ومعه الحقيبة .

- ليس فى ذلك اليوم وإنما فى أوقات أخرى .

- وهل كان يأتى كثيراً ؟

- نعـــم .

- مرة كل أسبوع أو كل أسبوعين مثلا ؟

- لا أستطيع القول .... كل ما أستطيع أن اقول هو أنه ان كان يأتى كثيرا .

- فى الصباح أو بعد الظهر ؟

- بعد الظهر . هل تعرف لماذا ؟ .. لاننى أتذكر أننى رأيته والمصابيح موقدة ... ومعنى هذا اننى كنت أراه بعد الظهر . وكان يأتى دائما وفى يده حقيبة صغيرة .

– سمراء ؟

– طبعا . أليست أغلب الحقائب سمراء . كان يجلس فى ركن من الورشة وينتظر حتى يفرغ المجلد من عمله ثم ينصرف والحقيبة فى يده .

– وهل كان يبقى مدة كبيرة ؟

– لا أدرى . أكثر من ساعة طبعا . وكان يخيل لى أحيانا أنه بقى طوال فترة بعد الظهر .

– هل كان يأتى فى أيام محدودة ؟

– لا أدرى .

– فكر جيدا قبل أن ترد . هل سبق أن رأيت هذا الرجل فى الورشة فى نفس الوقت مع مدام ستوفيل ؟

– فى نفس الوقت مع فرناند ؟ .. انتظر .. لا أذكر ذلك . لقد انصرف الرجلان معا مرة على كل حال، وأغلق فرانز المحل عندئذ .

– هل كان ذلك حديثا ؟

– يجب أن أفكر ... متى تقدم لى هذه الكأس .

واضطر ميجريه أن يتبعه إلى مقهى تورين ، وهناك قال الاسكافى مزهوا :

– أعطنى كأسا من النبيذ ، على حساب القوميسير .

وشرب ثلاث كئوس ، الواحدة بعد الأخرى . وأراد أن يبدأ قصته مع المهرج عندما تخلص ميجريه منه . وبينما كان هذا الأخير يمر أمام ورشة التجليد نظرت فرناند إليه من خلال الزجاج فى شىء من اللوم .

ولكن كان لابد له أن يفرغ من مهمته حتى النهاية فدخل غرفة البوابة وعرض عليها الصورة قائلاً :

- هل تعرفين هذا الرجل ؟

أخذت المرأة نظارتها من الدرج ونظرت إلى الصورة ثم قالت: أننى لا أعرف أسمه إذا كان هذا ما تريد . ولكننى رأيته من قبل .

ألم يخبرك الاسكافى ؟

كانت تشعر بالغيرة لانه استجوب أناسا آخرين قبلها .

- هل رأيته كثيراً ؟

- اننى رأيته ، وهذا كل ما أعرف .

- أهو من عملاء المجلد ؟

- لاشك فى ذلك لانه كان يختلف إلى محله .

- ألم يأت فى مناسبات أخرى .

- أظن أنه تناول العشاء معهما مرة . ولكننى لا أهتم كثيراً بالسكان .

وكان الأمر واحداً فى المحلات الأخرى المواجهة ، فقد ذكر له صاحب المكتبة وصاحبة محل المجوهرات وغيرهما نفس الشيء .. أنهم رأوا الرجل ولكنهم لا يتذكرون أين ولا يذكرون فى أية مناسبة .

وكان على وشك أن يغادر الحى عندما تذكر محل السجاير. وما أن رأى صاحب المحل الصورة حتى قال : أنه صاحب الحقيبة.

- تكلـــم .

- أننى لا أعرف ماذا يبيع ، ولكن لا ريب أنه يتنقل بين البيوت .

وقد جاءنى مرارا ، بعد الغداء بقليل ، وكان يتناول كأسا من المياه المعدنية لانه يشكو من قرحة فى معدته كما قال لى .

- هل كان يبقى كثيراً ؟

- أحيانا ربع ساعة ، وأحيانا أكثر . كان يجلس دائما فى نفس المكان ، بجوار النافذة .

وأشار الرجل إلى مكان يستطيع منه الجالس أن يرى جانبا من شارع تورين .

- لا ريب أنه كان ينتظر حلول موعد مع أحد عملائه . وذات مرة، وكان ذلك غير بعيد ، بقى أكثر من ساعة ، وتكلم

فى التليفون أخيرا .

– ألا تعرف مع من تكلم ؟

– كلا. وعندما عاد مكانه أخذ حقيبته وانصرف على الفور.

– وإلى أية جهة ذهب ؟

– لم أهتم بذلك .

ودخل أحد الصحفيين ، فتحول الرجل إلى ميجريه وسأله فى صوت خافت : هل أستطيع أن أتحدث عن ذلك .

هز ميجريه كتفيه . لم يكن هناك جدوى من الكتمان الآن ، بعد أن عرف الاسكافى القصة . وقال : إذا شئت .

وعندما دخل إلى مكتب لوكاس، كان هذا يعالج جهازين من أجهزة التليفون فى وقت واحد. واضطر ميجريه أن ينتظر بعض الوقت .

وتنهد البريجادير أخيراً وقال وهو يجفف عرقه : ما زلت أتعقب الكونتيسة . ان شركة عربات النوم تعرفها جيدا ولم ترها منذ شهور طويلة فى أى خط من خطوطها . وقد اتصلت بأغلب فنادق الدرجة الأولى بكان ونيس والانتيب وفيلفرانش ولكننى لم أعثر لها على أثر . وأتصلت كذلك بالكازينوهات، ولكن قيل لى ان أحداً لم يرها فى الآونة الأخيرة ، ولإبوانت يتكلم الانجليزية كما تعرف وهو يتصل الآن باسكوتلانديارد، وهناك من يهتم بايطاليا .

وقبل أن يمضى ميجر إلى القاضى دوسان ذهب إلى مويرز في معمله ، وأعاد إليه الصور التى لم يعد لها فائدة . وسأله مويرز قائلاً :

– ألم تصل إلى نتيجة ؟

– أننى عرفت واحدا منهم ، وهذا شىء لا بأس به . ويبقى علينا الآن أن نعثر على الأثنين الآخرين . ولكن من الجائز أنه ليست لهم أية سوابق .

وعند الظهر لم يكن أحد قد أهتدى إلى الكونتيسة بانيتى بعد ، ولكن سمع صحفيان ايطاليان بالامر وانتظرا ميجريه عند باب مكتبه وهما فى أشد حالات الانفعال .

(٧)

ميجريه فى يوم الأحد

دهشت مدام ميجريه قليلا عندما أتصل بها زوجها ، فى نحو الساعة الثالثة من يوم السبت لكى يسألها إذاكانت قد أعدت الطعام .

– لم أعده .. لماذا .. ماذا تقول ؟ .. طبعا أريد .. هذا إذا كنت واثقا أنك تستطيع التحرر من مشاغلك . اتفقنا .. سأكون هناك ، بجوار الساعة .. كما أريد .. هل تمزح ؟ .. هذا جميل وإن كنت أتوقع أنك ستتصل بى بعد ساعة لكى تقول ان لديك ما يشغلك وانك لن تعود لا للعشاء ولا للنوم .. حسنا ، سأستعد على كل حال .

ولكن ميجريه لم يخل بوعده هذه المرة . ودخل هو وزوجته فى الساعة الخامسة ذلك المطعم الالزاسى الكائن بشارع انفيينى ، حيث أعتاد الاختلاف إليه أحيانا ، وتناولا العشاء فيه . وقال ميجريه يسأل زوجته بعد أن فرغا منه :

– هل أخترت السينما ؟

كان ذلك هو السبب فى الدهشة التى اعترت مدام ميجريه عندما تحدث زوجها إليها فى التليفون ، فقد دعاها لقضاء

السهرة فى السينما التى تريد ، ومضيا إلى سينما بارامونت ، ووقف القوميسير فى الصف أمام شباك التذاكر دون أن يتذمر وافرغ غليونه فى منفضة كبيرة ، وسمعا الموسيقى التمهيدية ، ولم تفهم مدام ميجريه الحقيقة إلا بعد الرسوم المتحركة ، فقد عرضت دار السينما بضع لقطات من الفيلم القادم ثم بعض الافلام القصيرة الدعائية ثم ظهرت فجأة على الشاشة هذه الكلمات :

« *جاءنا البلاغ الآتى من ادارة الامن العام* ».

وكانت هذه أول مرة ترى فيها مثل هذه الاشارة على شاشة السينما ، وعرضت الدار بعد ذلك على الفور بعض الصور التى تمثل الفريد موس .. صورة كاملة لوجهه ثم بعض الصور الجانبية له وأعقبتها هذه الكلمات :

«المرجو من كل من رأى هذا الرجل خلال الشهرين الماضيين الاتصال تليفونيا للضرورة بـ ...

وقالت أخيراً وهما فى طريق العودة إلى البيت : كان هذا هو السبب اذن ؟

– ليس هذا فحسب . ثم اننى لست صاحب الفكرة . ولكننا لم نجد الفرصة لتنفيذها قبل اليوم ، فقد لاحظ مويرز أن الصور التى تنشرها الجرائد تكون مشوهة عادة بسبب نقل الكليشيهات

والحبر . أما إذا كبرنا الصورة فى السينما فانها تأتى بالنتيجة المطلوبة دون أى شك .

- مهما يكن من أمر فإننى استفدت من ذلك . هل تعرف منذ متى لم نذهب إلى السينما .

قال مخلصا : منذ ثلاثة أسابيع .

- بل منذ شهرين ونصف بالتمام .

وفى صباح يوم الأحد مضى إلى إدارة الأمن العام سيرا على قدميه فى الشوارع التى تكون مقفرة . وكان يسره دائما أن يجد نفسه فى ممرات إدارة البوليس الجنائى والأبواب مفتوحة على المكاتب الشاغرة .

وكان لوكاس قد أقبل لتوه . وكان تورينس موجودا ، وكذلك جانفييه ولم يلبث أن جاء لابوانت . ولان اليوم كان يوم أحد راح الجميع يعملون كما لو كانوا من الهواة .

وكان لابوانت هو الوحيد الذى أتى بمعلومة جديدة ، فقد سأله ميجريه فى اليوم السابق ، عند انصرافه :

- هل تعرف أين يقيم ذلك الصحفى الذى يغازل أختك ؟

- إنه لم يعد يغازلها .

- هل تخاصما ؟

- لا أدرى .. ولكن لعله خائف منى .

- انني أريد عنوانه .

- ولكنني لا أعرفه . انني أعرف أنه يتناول طعامه في المطاعم في أغلب الأوقات ، ولا أظن أن أختي تعرفه هي الأخرى . سأستعلم في الجريدة .

وعندما أقبل أعطى قطعة من الورق ليجريه فيها العنوان المطلوب : شارع بروفانس ، في نفس المنزل الذي يقيم فيه فيليب ليوتار .

وقال القوميسير : حسنا يا صغيري . شكرا لك .

ولم يزد .

ولو أن الطقس كان أشد حرارة لخلع جاكتته ولبقي بقميصه كما يفعل الناس يوم الأحد ، حين ينجزون أعمال البيت التي تحتاج إلى إصلاح وترميم . وقد كان بحاجة إلى مراجعة مذكراته فأخرج من جيبه دفتره الضخم الذي يحشوه دائما بملاحظاته التي لا يراجعها أبداً تقريبا .

وسطر بعض الملاحظات في ورقة ولكنه لم يلبث أن كورها ، وألقى بها في سلة المهملات . وأعاد الكرة مثنى وثلاث .

وبدأت القضية تتضح أخيراً .. وكان قد كتب :

يوم الخميس ١٥ فبراير: غادرت الكونتيسة بانيتي فندق كلاريدج ويرفقتها خادمتها جلوريا لوتي. واستقلتا سيارة صهرها كرينكر .

كان قد عرف التاريخ من بواب الفندق ، وكان هذا الأخير على يقين من ذلك . أما السيارة قد عرف بأمرها الموظف المختص بموقف السيارات الخاصة بالفندق ، وقد أكد له أن الكونتيسة غادرت الفندق فى الساعة السابعة مساء ، وأردف يقول أنها كانت تبدو مهمومة ، وأن صهرها كان يستعجلها كما لو كانا ذاهبين للحاق بأحد القطارات أو إلى موعد هام .

ولكن لم يعثر أحد على الكونتيسة حتى الآن . ومضى إلى مكتب لوكاس لكى يتأكد من ذلك . ولم يكن قد جاء إلى هذا الأخير خبر جديد .

أما البوليس الايطالى فقد جاءهم بمعلومات مفيدة فقالوا أنهم يعرفون الكونتيسة بانيتى طبعا . وقد تسببت ابنتها الوحيدة بيللا فى إثارة الرأى العام فى إيطاليا لانها هربت من البيت وتزوجت فى مونت كارلو ، عندما رأت أن أمها لا توافق على الزواج .

ولكن كان ذلك منذ خمس سنوات . ومنذ ذلك الوقت والام والابنة لا تلتقيان . وقالت الصحف الإيطالية انه إذا كان كرينكر فى باريس ، فلا ريب أنه يحاول أن يتصالح مع الكونتيسة بانيتى .

يوم الجمعة ١٦ فبراير : ذهبت جلوريا لوتى وعلى رأسها

قبعة الكونتيسة البيضاء إلى كونكارنو ، ومن هناك أرسلت برقية إلى فرناند ستوفيل ثم عادت فى نفس الليلة من غير أن تلتقى بأحد .

يوم السبت ١٧ فبراير : عادرت فرناند شارع تورين فى الظهر ومضت إلى كونكارنو ولم يرافقها زوجها حتى المحطة . وفى نحو الساعة الرابعة أقبل عميل يبحث عن بعض الكتب المجلدة ووجد فرانز ستوفيل فى المحل . وبسؤاله عن الحقيبة لم يتذكر أنه رآها .

وفى الساعة الثانية وبضع دقائق ، استقل ثلاثة رجال سيارة أجرة، من بينهم الفريد موس دون أى شك زاعما أن أسمه ليفين، ومضوا جميعا إلى محطة سان لازار ، عند ناصيتى شارع تورين وجران بورجوا .

وسمعت البوابة قبيل الساعة التاسعة طرقا على باب ستوفيل وخامرها احساس بأن الرجال الثلاثة قد دخلوا المحل .

وكتب بوارو على الهامش بالقلم الأحمر : أيكون كرينكر هو الرجل الثالث .

يوم الأحد ١٨ فبراير : المرمد الذى لم يشتعل فى الأيام الأخيرة ظل يعمل طوال الليل ، ولا ريب أن فرانز ستوفيل قام بنقل الرماد إلى القمامة أكثر من خمس مرات . وقد ضايق

دخان المرمد الآنسة بيجن التى تقيم بالدور الرابع وقالت أنه كانت له رائحة غريبة .

الأثنين ١٩ فبراير : مازال المرمد يعمل ، والمجلد وحده طوال اليوم .

الثلاثاء ٢٠ فبراير : وصلت للبوليس الجنائى شكوى من مجهول يقول فيها ان رجلا أحرق فى مرمد المجلد . وعادت فرناند من كونكارنو .

الأربعاء ٢١ فبراير : زيارة لابوانت إلى شارع تورين . رأى الحقيبة ذات المقبض المرمم بواسطة قطعة من الدوبارة تحت مائدة المجلد . وغادر الورشة نحو الظهر وتناول الغداء مع حته وتحدث معها عن القضية فهل التقت الآنسة لابوانت بعاشقها انطوان بيزار المقيم فى نفس البيت الذى يقيم فيه ليوتار أو هل تكلمت معه فى التليفون ؟

وبعد الظهر ، قبل الساعة الخامسة مضى المحامى إلى شارع تورين بحجة تجليد كتاب .

وعندما قام لوكاس بتفتيش الورشة فى الساعة السادسة كانت الحقيبة قد اختفت .

واستجوب ستوفيل فى مقر البوليس الجنائى فى آخر الليل تقريبا . وعين مسيو ليوتار للدفاع عنه .

ومضى ميجريه إلى جولة صغيرة وألقى نظرة على الملاحظات التى تلقاها المفتشون فى التليفون ، ولم يكن الوقت قد حان بعد لكى يطلب أن يأتوه بالبيرة واكتفى أن أشعل غليونا .

الخميس ٢٢ فبراير .

الجمعة ٢٣ فبراير .

السبت .....

عامود طويل من التواريخ وأمور كثيرة تافهة لا أهمية لها فيما عدا أن التحقيق يتخبط وأن الجرائد تثور وأن ليوتار يغلى من الغضب ويهاجم البوليس عموما وميجريه على وحه الخصوص .

الأحد ١٠ مارس : المدعو ليفين يستأجر غرفة فى فندق بوسيجور بشارع ليبيك ويقيم يها مع غلام فى الثانية من عمره .

جلوريا لوتى، التى تقوم بدور الممرضة تهتم بالطفل وتخرج به كل صباح لكى يستنشق الهواء فى ميدان دانفر فى حين ينام ليفين . وهى لا ترقد فى الفندق وتغادره فى وقت متأخر من الليل ، عند عودة ليفين .

الاثنين ١١ مارس : شرحه .

الثلاثاء ١٢ مارس : الساعة التاسعة والنصف . تغادر جلوريا والطفل الفندق كعادتهما . العاشرة والربع يحضر موس إلى الفندق ويطلب ليفين . ويحزم هذا الأخير حقائبه على الفور ويهبط بها فى حين يبقى موس فى الغرفة .

الحادية عشرة إلا خمس دقائق : ترى جلوريا ليفين وتترك الطفل مسرعة ويبقى برفقة مدام ميجريه .

وبعد الحادية عشرة بقليل تدخل فندق بوسيجور مع زميلها ، ويجدان موس ، ويتناقش الثلاثة أكثر من ساعة . وينصرف موس أولا .. وفى نحو الساعة الثانية عشرة والنصف تغادر جلوريا وليفين الفندق ، وتركب جلوريا وحدها سيارة أجرة .

وتمضى إلى ميدان دانفر وتسترد الطفل .

وتذهب إلى بوابة نولى أولاً ثم تذكر للسائق عنوان محطة سان لازار ، وتقف فجأة فى ميدان سان أوجستين حيث تركب سيارة أجرة أخرى ، وتغادرها هى والطفل عند ناصية شارع سونمارتر وشارع جران بوليفار .

وبدت الصفحة غريبة الشكل لأن ميجريه زينها ببعض الرسومات التى تشبه رسومات الأطفال . وعلى ورقة أخرى سجل التاريخ الذى فقدوا فيه آثار الأشخاص المختلفة .

الكونتيسة بانيتى ١٦ فبراير .

كان الموظف المختنص بموقف السيارات آخر من رآها ، وصعدت فى سيارة صهرها كرينكر ؟

تردد ميجريه فى كتابة تاريخ السبت ١٧ فبراير لانه لم يكن هناك أى دليل على أنه هو الشخص الثالث الذى هبط من سيارة الأجرة فى آخر شارع تورين .

وإذا لم يكن هو فقد ضاع أثره تماما فى نفس الوقت الذى ضاع فيه أثر السيدة العجوز .

الفريد موس : الثلاثاء ١٢ مارس .

ليفين : الثلاثاء ١٢ مارس .

اختفى الأخير بعد الأول بنصف ساعة ، حين أركب جلوريا سيارة الأجرة .

جلوريا والطفل : نفس التاريخ ، ولكن بعد ساعتين ، بين الجمهور فى ميدان مونمارتر .

وهو اليوم ، فى اليوم السابع عشر من مارس ومنذ اليوم الثانى عشر لم يجد جديد ، فيما عدا التحقيق . أو بالحرى بقى أمامه تاريخ يجب أن يسجله فراح يكتب من جديد :

يوم الجمعة ١٥ مارس : حاول شخص فى المترو دس السم فى الطعام المعد لفرانز ستوفيل .

ولكن كان هذا أمرا مشكوكا فيه ، لان الخبراء لم يجدوا

أثرا للسم وقد كانت فرناند شديدة الإنفعال فى الأيام الأخيرة ، ومن الجائز أنها حسبت حركة خرقاء لراكب محاولة غامضة

لم يكن الرجل موس على كل حال لانه لو كان هو لعرفته على الفور .

ليفين ؟

وكان شعاعا من الشمس قد سقط على وجه ميجريه فقام برسم بضع رسومات أخرى وهو يغمز بعينيه ، ثم مضى إلى النافذة ووقف ينظر إلى بعض الزوارق وهى تعبر نهر السين .

- جانفييه .. ما رأيك فى أن نطلب بيرة .

وطلب جانفييه بعض زجاجات من البيرة وبعض الشطائر ، فى حين أتصل ميجريه بمكتب قاضى التحقيق وعرف أن مسيو دوسان موجود فى مكتبه هو الآخر . وسأله القاضى قائلاً :

- ألم تأتك أية أنباء عن السيارة .

كان مما يطرب له أن ترى فى ذلك الأحد من أيام الربيع فى القرى ، عند خروج الناس من الكنائس ومن المقاهى رجال الشرطة وهم يرقبون السيارات ويبحثون عن السيارة الكريزلر البنية اللون .

وقال لوكاس ، وكان قد ذهب إلى مكتب ميجريه بين مكالمتين

تليفونيتين :

- هل يمكننى أن ألقى نظرة أيها الرئيس ؟

وفحص قائمة القوميسير فى إهتمام ثم هز رأسه وقال : لماذا لم تطلب منى ذلك ؟ إننى أعددت نفس القائمة ، ولكن بطريقة أكمل .

داعبه ميجريه قائلاً : ولكن من غير الرسوم الصغيرة .. أى الأنباء تأتيك أكثر ؟ .. أنباء السيارة أم أنباء موس ؟

- أنباء السيارة فى الوقت الحاضر ... هناك سيارات كثيرة بنية اللون ولكنها لسوء الحظ من طراز آخر غير التى تهمنا . وبدأت المحافظات تتصل بنا وراحت الأنباء تتوالى علينا من كل ناحية .

ولم تلبث أن راحت فرنسا كلها تبحث ، بفضل الراديو ، عن السيارة المذكورة . ولم يسعهم إلا الإنتظار . ولم يكن الأمر بغيضا جدا ، وجاء الصبى من الحانة بكمية كبيرة من كئوس البيرة والشطائر .

وبدأوا يأكلون ويشربون . وكانت الشمس دافئة ففتحوا النوافذ . وجاء مويرز وراح يرمش بعينيه كما لو كان قد أقبل من مكان مظلم .

لم يكن أحد يعرف أنه فى معمله، ولم يكن هناك ما يدعوه

إلى المجىء ، ومع ذلك هبط من المعمل وقال :

– أرجو المعذرة لازعاجى اياكما .

– هل لك فى كأس من البيرة ؟

– كلا . شكراً . عندما أويت إلى فراشى أمس خطرت ببالى فكرة ، فقد تحدثنا كثيرا عن البدلة الزرقاء التى تخص ستوفيل دون جدال . ولما كانت البدلة لا تزال فوق ، فقد أتيت هذا الصباح لكى أقوم بتحليل ما عليها من تراب .

والواقع أن هذه عادة لم يفكر فيها أحد فى القضية الحالية. وقد وضع مويرز كل قطعة من البدلة على حدة ، داخل كيس من الورق المقوى وراح يضرب فوقه بعصا بكل قوته مدة طويلة لكى يخرج منها كل ما علق بها من تراب .

– وهل وجدت شيئاً ؟

– نشارة خشب رفيعة جدا بكمية كبيرة .. أو بالأحرى مسحوق خشب .

– كما فى ورشة للخشب .

– كلا ، فلو كان الأمر كذلك لكانت النشارة أكثر خشونة ولما كانت بهذه الوفرة . ان المسحوق ناتج عن أعمال دقيقة جـدا .

– نجارة دقيقة مثلاً ؟

- ربما . لست واثقا من ذلك . إنها نشارة أرفع من ذلك ، ولكننى أريد أن أرى رئيس المعمل قبل ابداء الرأى .

ومن غير أن ينتظر النتيجة تناول جانفييه دليلا وراح يفحص فيه كل العناوين الموجودة بشارع تورين .

كانت فيه محلات من جميع الحرف ، ولكنها كانت تمت كلها تقريبا إلى الحرف المعدنية وصناعة العلب الكرتون . وقال مويرز:

- إنما أردت أن أطلعكما على ما وصلت إليه فحسب ، وأنا فى طريقى ، ولا أدرى إن كان لذلك أية فائدة .

وكان هذا هو رأى ميجريه أيضاً ، ففى مثل هذه القضية لا يتوقع أحد أبداً ما يمكن أن تكون له فائدة . ومهما يكن فان هذه النشارة تؤكد أقوال فرانز ستوفيل الذى أصر على أن البدلة الزرقاء ليست له .

ولكن إذا كان الأمر كذلك فلماذا يملك معطفا أزرق لا يتجانس مع البدلة السمراء .

وصلصل جرس التليفون ، وكانت ستة أجهزة تصلصل أحيانا فى وقت واحد . وكانت عاملة التليفون لا تدرى ماذا تفعل ، لأنه لم يكن هناك ما يكفى من المفتشين لكى يتولوا الرد عليها كلها .

- ما هذا ؟

- مكالمة من مدينة لاينى .

وكان ميجريه قد ذهب إليها ذات مرة ، وهى مدينة صغيرة تقع على شاطىء نهر المارن يقطنها قوم من الصيادين ، ولم يعد يذكر أية قضية ساقته إلى هذه المدينة ، ولكن كان الوقت صيفا ، وكان قد إحتسى كأسا من النبيذ الأبيض مازال يذكر مذاقه .

وراح لوكاس يكتب ملاحظاته . ويشير إلى القوميسير أن الأمر يبدو مهما . وزفر أخيرا وهو يعيد السماعة مكانها وقـــال:

- ربما أمسكنا بخيط . ان شرطة مدينة لاينى هى التى تكلمت ، فقد وقع شىء منذ شهر مازال يثير انفعالهم حتى اليوم . سقطت سيارة فى نهر المارن ...

- هل ذكر لك التاريخ بالتدقيق ؟

- ١٥ فبراير .

- ألقى ميجريه نظرة إلى القائمة التى أعدها وهو يشعر بالفخر لانه فكر فيها وقال :

- ١٥ فبراير : غادرت الكونتيسة بانيتى فندق كلاريدج وبرفقتها خادمتها جلوريا لوتى، واستقلتا سيارة صهرها كرينكر

وقال لوكاس : اننى فكرت فى هذا الأمر ، وسترى أن ما ذكرته لنا شرطة لاينى له أهميته ، فان امرأة عجوزا تقطن على شاطىء نهر المارن قالت انها سمعت ، وهى عائدة إلى بيتها ليلا ضجة كبيرة فى الظلام ، وأنها واثقة أن هذه الضجة ما هى إلا صوت سقوط سيارة فى النهر .

وكانت حركة المد فى هذه اللحظة فى عنفوانها ، وكانت هناك طرقة صغيرة تمتد من الطريق العام وتنتهى عند شاطىء النهر ، وكانت مغطاة بطبقة لزجة من الطين عاقتها من التقدم لاستطلاع الأمر لانها خشيت أن تنزلق وتقع . ولكنها تحدثت عنه فى المقهى فى اليوم التالى ، ومضت بضعة أيام والناس يتناقلون الخبر فيما بينهم حتى وصل النبأ إلى سمع مركز الشرطة الذى استدعاها لاستجوابها .

وانتقل أحد الشرطة للمعاينة ، ولكن النهر كان هائجا والتيار عنيفا بحيث توقفت حركة الملاحة خمسة عشر يوما . ويبدو أن مستوى الماء أصبح عادياً هذين اليومين الآخيرين فقط .

ولكننى أعتقد أن الشرطة لم تأخذ المسألة مأخذ الجد .

غير أنهم بعد أن وصلتهم مكالمتنا أمس بخصوص السيارة البنية تلقوا مكالمة تليفونية أخرى من رجل يقيم فى آخر الطريق

العام ، وفى الناحية المذكورة ، يقول فيها أنه رأى فى الشهر الماضى ، وفى الظلام سيارة بهذا اللون تدور أمام منزله. وهو تاجر بنزين كان يملأ خزان إحدى السيارات بالبنزين ، وهذا سبب وجوده فى الخارج فى تلك الساعة .

– ومتى كان ذلك ؟

– وبعد التاسعة بقليل .

– وبعــد ؟

– طلب مركز الشرطة الرافعة من جراج البلدية .

– أمــس ؟

– بعد ظهر أمس . وقد تجمهر الفضوليون ، وتعلقت الرافعة بشيء فى الماء ولكن الليل منعهم من الاستمرار ، ولم يتمكنوا من استخراج السيارة إلا صباح اليوم . وهى من طراز كريزلر وبنية اللون ، وبداخلها جثة .

– جثة رجل ؟

– بل جثة أمرأة . وهى تكاد تكون متحللة ، وقد انتزع التيار الجزء الأكبر من ثيابها . وشعرها طويل وخطه المشيب .

– أهى الكونتيسة ؟ ..

– لا أدرى . إنهم اكتشفوا الجثة الآن فقط ، وهى ما تزال على الشاطىء وفوقها غطاء. ويسألون ماذا يفعلون بها ، وأجبتهم

بأننى سأتحدث إليك .

وكان مويرز قد انصرف قبل ذلك بدقائق . وكان هو الرجل الذى يحتاج القوميسير اليه بالذات . ولم يكن هناك أى أمل فى أن يجدوه ببيته .

– هل لك أن تستدعى الدكتور بول ؟

ورد هذا الأخير على التليفون على الفور . وخاطبه ميجريه قائلاً :

– هل هناك ما يشغلك ؟ ألا يزعجك أن أمر بك واصطحبك إلى لاَينى ؟

احضر حقيبة ادواتك .. معا طبعا .. نعم ، كلا .. أن منظر الجثة غير محتمل .. امرأة عجوز بقيت فى قاع النهر شهرا .

ونظر ميجريه حوله . ورأى لابوانت يحول رأسه وقد اصطبغ وجهه . كان الشاب يتلهف لمرافقة رئيسه دون أى شك .

– ألن ترى صديقتك بعد ظهر اليوم ؟

– اوه ، كلا يا سيدى .

– هل تعرف قيادة السيارة ؟

– اننى حصلت على رخصتى منذ سنتين .

– اذهب واحضر البيجو الزرقاء وانتظر أمام الباب . وتأكد أن بها ما يكفى من البنزين .

ونظر إلى جانفييه ، وكانت امارات الخيبة قد ارتسمت ، وقال لــه :

- أما أنت فاستقل سيارة أخرى ، وتقدمنا فى الطريق ببطء وسل أصحاب الجاراجات وتجار النبيذ وكل من تشاء . من المحتمل أن يكون هناك من رأى السيارة البنية . وسأراك فى لاينى .

واحتسى كأس البيرة ، وبعد بضع دقائق جلس الدكتور بول فى السيارة التى جلس لابوانت أمام مقعد القيادة فيها فى زهو وفخر .

وكان يوما جميلا من أيام الصيف وكان الطريق مزدحما بالسيارات المشحونة بالعائلات والاقفاص فى طريقها لقضاء اليوم فى الريف .

وفى لاينى ، اضطروا إلى الاستعلام عن الطريق ، ثم خرجوا من المدينة وداروا فى منعطفات كثيرة قبل أن يبلغوا الشاطئ ، حيث تقف رافعة تجمهر حولها نحو مائة شخص . وكان الشرطة يلاقون كل صعوبة فى منعهم من الاقتراب . وكان هناك ضابط عند الشاطىء ، ما أن رأى القوميسير حتى ندت عنه تنهيدة ارتياح .

وكانت السيارة البنية موجودة فوق الشاطىء تغطيها الاوحال

والأعشاب والقاذورات والماء لايزال يقطر من كل فتحة فيها . وكان هيـ ـا مشوها ، وأحد ألواحها الزجاجية مهشما ، ومصباحاها الاماميان محطمين ، ولكن كان أحد ابوابها لايزال سليما ، وهو الذى أخرجوا منه الجثة .

وكانت هذه الأخيرة مكومة وفوقها غطاء . وكان الفضوليون يقتربون منها ثم يسرعون بالابتعاد وهم يشعرون بالغثيان .

– هل أتركك لكى تقوم بعملك يا دكتور ؟

– هنـــــا ؟

وقد كان الدكتور بول قمينا بأن يقوم بمهمته طواعية فى نفس المكان ، وقد سبق له أن قام بتشريح كثير من الجثث فى أماكن غريبة ، وسيجارته بين شفتيه ، بل أنه كان ينقطع عن عمله ويخلع قفازيه ويتناول ما يودى بأوده ثم يعود إلى مزاولة عمله من جديد .

– هل تستطيع نقل الجثة إلى مركز الشرطة أيها الضابط ؟

– سوف يتكفل رجالى بذلك .. انصرفوا يا قوم ، وليذهب كل منكم إلى سبيله ... وأنتم يا أولاد .. ولكن كيف تتركون الأولاد هكذا ؟ ..

وكان ميجريه يفحص السيارة عندما شدته امرأة من كمه ، وقالت له فى فخر :

- أنا التى وجدتها .

- هل أنت مدام هيبار ؟

- بل هوبار يا سيدي ، وبيتى هو الذى تراه هناك ، خلف شجرة الدردار .

- قولى لى ماذا رأيت ؟

- لم أر شيئا إذا أردت الحق . ولكننى سمعت ... سمعت صوت سيارة آتية من الطريق العام . وقلت لنفسى أنهم بعض الصيادين الذين يصطادون من غير رخصة ، لأن البرد كان قارسا جدا لخروج الاحبة والعشاق . ثم أن الدنيا كانت تمطر فوق ذلك . كل ما رأيته وأنا أستدير هو نور المصباحين .

ولم أكن أتوقع أنه سيكون لهذا الأمر أهمية ما فى يوم من الأيام ، فاستمررت فى طريقى ، وخيل لى أن السيارة قد توقفت .

- ذلك لانك لم تسمعى المحرك ؟

- هو ذلك .

- هل كنت تولين ظهرك للطريق ؟

- نعم . ثم سمعت صوت المحرك من جديد . وظننت أن السيارة تدور نصف دورة ولكننى لم ألبث أن سمعت صوت سقوطها فى النهر .

- ألم تسمعي صياحا ؟
- كـــــلا .
- ألم تعودى ادراجك ؟
- هل كان ينبغى أن أفعل ؟ وماذا كنت استطيع وحدي ؟ خطر لى أن راكبيها المساكين قد غرقوا فأسرعت إلى بيتى وشربت كأسا لكى أتمالك نفسى .
- ألم تبقى عند شاطىء النهر ؟
- كلا يا سيدى .
- ألم تسمعى شيئا آخر بعد سقوط السيارة ؟
- خيل لى أننى سمعت شيئا كوقع أقدام ، ولكننى ظننت أنه صوت أرنب أفزعه الصوت .
- هل هذا كل شىء ؟
- ألا تجد فى هذا الكفاية ؟ .. لو أنهم استمعوا إلى بدلا من معاملتى كما لو كنت مجنونة لاخرجوا السيدة من النهر منذ وقت طويل . هل رأيتها ؟

هل كانت مدام هوبار العجوز تعلم أن الصدفة وحدها هى التى ساقتها إلى هذا المكان ، وأنها لو استدارت بدافع الفضول لكى ترى ما وقع للحقت بالسيدة الأخرى فى قاع البحر ؟

- ألن يأتى الصحفيون قريبا ؟

كانت تنتظر قدوم الصحفيين لكى ترى صورتها فى الجرائد.

وخرج لابوأنت من السيارة الكريزلر بعد أن انتهى من فحصها ، تعلوه الاوحال وقال :

- لم أجد شيئا . ان العجلة الاحتياطية موجودة مكانها ، فى الصندوق الخلفى من السيارة . وليست هناك أية حقائب ، ولا حتى حقيبة يد . لا شىء غير فردة حذاء حريمى محشورة فى آخر المقعد ، وهذا القفاز ، وهذا المصباح الكهربائى وجدتهما فى الدرج ، بجوار لوحة القيادة .

وكان القفاز قفاز رجل ، وكان من الجلد .

- أسرع إلى المحطة . لا ريب أن أحدهم استقل القطار فى ذلك الوقت . إلا إذا كان قد ركب سيارة أخرى من المدينة ثم الحق بى بعد ذلك فى إدارة الشرطة .

ورأى أن ينتظر فى الفناء ، وهو يدخن غليونه ، حتى يفرغ الدكتور بول من عمله فى الجاراج .

(٨)

صانعو الدمى الدقيقة

- هل تشعر بخيبة أمل يا مسيو ميجريه ؟

كان لابوانت يود لو أن يقول « أيها الرئيس » كما يفعل لوكاس وتورينس وأغلب مفتشى القسم الجنائى ، ولكنه أحس بأنه لايزال جديدا لكى يقدم على ذلك . خيل له أن هذه ميزة لابد له من الحصول عليها كما يحصل غيره على شرائطه.

وكان قد ذهب بالدكتور بول إلى بيته ، وانطلق الآن فى طريق العودة إلى إدارة الامن العام ، حيث بدت له شوارع باريس أكثر نورا وصخبا بعد الساعات التى قضوها وهم يتخبطون فى ظلمات لاينى . واستطاع ميجريه أن يرى نور مكتبه وهو فوق جسر سان ميشيل .

ورد على سؤال الشاب بقوله : كلا . لم أكن أتوقع أن يتذكر موظفو المحطة المسافرين الذين سافروا منذ شهر .

- كنت اتساءل فيم تفكر ؟

أجاب بلهجة طبيعية : فى الحقيبة .

- أقسم لك أنها كانت موجودة فى الورشة عندما ذهبت إلى المجلد أول مرة .

- انني لا أشك في هذا .

- وإني واثق أنها ليست نفس الحقيبة التى وجدها لوكاس بعد ظهر ذلك اليوم في القبو .

- أنني لا أشك في هذا أيضاً . دع السيارة في الفناء واصعد معي .

كانت هناك حركة بين الشرطة الموجودين للحراسة تدل على أن هناك جديدا . وعندما عرف لوكاس أن ميجريه عاد أسرع إلى مكتبه على الفور وقال له :

- أنباء عن موس إيها الرئيس . جاءت فتاة وابوها منذ قليل ، وأرادا أن يتحدثا إليك أنت شخصيا . ولكن بعد أن انتظرا ساعتين استقر رأيهما على الافضاء إلينا بما يعلمان . والفتاة جميلة وفي السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمرها ، مستديرة الوجه وصريحة . والاب سبق أن حصل على جائزة روما في الفن . وهناك أختها وهي أكبر منها سنا ، وأمهما . وهم يقيمون في شارع باستير ويعملون فى صناعة الدمى الدقيقة ولعب الأطفال ، ولا أخطىء إذا قلت أن الابنة رافقت أباها لكي تمنعه من الشراب فى الطريق . وقد أقام

موس فى بيتهم فى الشهور الأخيرة منتحلا اسم بيترز .

- أما زال هناك ؟

- لو أنه كان لا يزال هناك لارسلت إليه بعض المفتشين للقبض عليه ، أو لذهبت أنا نفسى . أنه غادرهم فى ١٢ مارس .

- أو بمعنى آخر ، فى اليوم الذى اختفى فيم ليفين وجلوريا والطفل بعد حادث ميدان دانفر .

- لم يقل لهم أنه سيغادرهم ، وإنما خرج فى الصباح كعادته ولم يعد بعد ذلك . وقد خطر لى أنك قد تحب استجوابهما انت نفسك . آه . هناك شىء آخر . لقد اتصل فيليب ليوتار تليفونيا مرتين .

- وماذا يريد ؟

- يقول أنه يريد أن يتحدث إليك ، وطلب أن تتصل به فى مقهى «شوب دى نيجر» إذا عدت قبل الساعة الحادية عشرة .

وكان مقهى شوب دى نيجر خمارة تقع فى شارع بون نوفيل .وكانت الصرافة هى التى ردت عليه . ومضت لكى تبحث عن ليوتار . وقال له هذا الأخير :

- أهذا أنت أيها القوميسير ؟ .. أظن أنك مرهق بالعمل . هل عثرت عليه ؟ ..

- على من ؟

- موس . اننى ذهبت إلى السينما الليلة ، وفهمت . الا تظن أن حديثا ، شبه رسمى ، بينى وبينك يفيد كلا منا ؟

ولعبت الصدفة دورها ، فقد كان ميجريه يفكر وهو فى السيارة فى الحقيبة . ودخل لابوانت المكتب وهو يتحدث إلى ليوتار . وقال القوميسير يخاطب هذا الأخير : هل معك أصدقاء ؟

- ليس لهذا أهمية .. سوف أتخلص منهم عندما تأتى .

- أهى صديقتك ؟

- نعـــم .

- ألا يجلس معكما أحد آخر ؟

- معنا رجل لا تحبه أنت كثيراً . ولا أدرى لماذا ؟ .. وهو حزين لهذا السبب .

كان يتكلم عن الفونسى ، ولا ريب أنهم أربعة .. الرجلان وصديقتاهما .

- هل لك أن تتجمل بالصبر وتنتظرنى إذا حدث وتأخرت .

- سوف انتظرك إلى أى وقت تشاء ، فنحن فى يوم الأحد.

- قل لالفونسى أننى أحب أن أراه هو الآخر .

- سوف يسره ذلك .

- إلى الملتقى اذن .

ومضى فأغلق باب مكتبه عليه هو ولابوانت وقال له : اسمع . انك تريد أن تشق طريقك ، أليس كذلك ؟

- اننى لا أتمنى غير ذلك .

- انك كنت من الحماقة بحيث تكلمت أول يوم ، وجر كلامك عواقب لا يمكن أن تشك فيها بعد .

- اننى اسألك المعذرة ... كنت أضع كل ثقتى فى أختى .

- هل تريد أن تقوم بعمل عسير ؟ .. مهلا . لا تتعجل بالرد ، فانه ليس بالعمل السليم ولن تشيد الجرائد باسمك ، بل على العكس .. إذا أفلحت فى هذه المهمة فلن يعرف بما فعلت أى شخص آخر غيرى ، أما إذا فشلت فسأضطر إلى أن اتنصل منك وسأزعم أنك شاب متحمس وأنك اقدمت على ذلك دون علم منى .

- أننى أفهم .

- انك لم تفهم شيئاً أبداً .. ولكن لا أهمية لهذا . لو اننى قمت بهذه المهمة بنفسى وفشلت فسوف الحق الضرر بادارة البوليس كلها . أما أنت فجديد فى هذه المهنة ولن يكون لعملك أى تأثير .

راح لابوانت يتململ وقد عيل صبره، وأستطرد ميجريه يقول

– أن مسيو ليوتار والفونسى مجتمعان الآن فى مقهى «شوب دى نيجر» حيث ينتظرانى .

– هل ستنضم إليهما ؟

– ليس على الفور . سأمضى أولاً إلى شارع باستير ، ولكننى واثق انهما لن يتحركا من المقهى قبل أن أمضى إليهما. فلنقل اننى سألحق بهما بعد ساعة تقريباً . ان الساعة الآن التاسعة . هل تعرف بيت المحامى بشارع بيرجير ؟ انه يسكن فى الدور الثالث على اليسار . وبما أن هناك عددا من الفتيات يقمن فى هذا البيت فان البوابة لا تهتم بمن يدخل أو يخرج .

– هل تريد أن ؟ ..

– نعم ... أنهم علموك كيف تفتح بابا ، ولن يكون لذلك نتيجة ما إذا أنت تركت آثارك خلفك . ولكن لا فائدة من تفتيش الأدراج أو الأوراق . يجب أن تتأكد من شىء واحد ، وهو أن الحقيبة ليست هناك .

– لم يخطر لى ذلك على بال .

– حسنا . من الجائز ، بل من المحتمل أنها ليست هناك لان ليوتار رجل حريص . ولهذا لا يجب أن تضيع الوقت . ومن شارع بيرجير انتقل إلى شارع دوويه ، حيث يقيم الفونسى فى

الغرفة رقم ٣٣ بفندق ماسيف سنترال ... أبحث هناك عن نفس الشيء ... عن الحقيبة ولا شيء آخر .. وأتصل بى تليفونيا عندما تفرغ .

– هل أستطيع أن أنصرف الآن ؟

– اخرج إلى الممر أولا . سأغلق بابى بالمفتاح ، فحاول أن تفتحه ، أطلب الادوات الخاصة بذلك من لوكاس .

وكان لابوانت عند حسن ظن القوميسر ، وبعد بضع دقائق كان يسرع إلى الخارج وهو يكاد يطير فرحا .

ومضى ميجريه إلى مكتب المفتشين وخاطب جانفييه قائلاً : هل لديك ما يشغلك ؟

وكانت التليفونات لا تزال تصلصل ، ولكنها كانت أقل حدة بسبب الوقت . وأجابه جانفييه .

– كلا . وإنما أحاول مساعدة لوكاس .

وهبطا معا . وجلس جانفييه أمام عجلة القيادة . وبعد ربع ساعة بلغا شارع باستيير . وقال ميجريه : اصعد معى .

وسأل عن النحات ، واسمه جروسو ، وقيل له انه يقيم فى الطابق السادس . وكان قديما ولكنه يبدو محترما ، ولا ريب ان كل ساكنيه كانوا من صغار الموظفين . وعندما طرقا باب الطابق السادس انقطع على الفور صوت شجار بالداخل

وفتحت الباب فتاة مكتنزة الوجه .

- هل أنت التى أقبلت إلى مكتبى منذ قليل ؟

- بل هى أختى . هل أنت المفتش ميجريه ؟ تفضل .. لا تلتفت إلى هذه الفوضى ، فقد فرغنا الآن من تناول العشاء

وتقدمتهما إلى ستوديو رحب له سقف منحدر ركبت بجانب منه بعض الألواح الزجاجية تظهر من خلالها النجوم . وكانت هناك بقايا من اللحم وزجاجة نبيذ لا يزال بها أكثر من نصفها ، فوق مائدة كبيرة من الخشب الأبيض ، وفتاة أخرى بدت كما لو كانت توأما لتلك التى فتحت ، راحت تنسق شعرها بيدها فى حين تقدم رجل يرتدى سترة من القطيفة من الزائرين ، فى وقار مبالغ فيه وقال :

- أهلا بك فى بيتى المتواضع يا مسيو ميجريه . أرجو أن تشرفنى وتتناول الشراب معى .

ولم يكن هناك ريب فى أن النحات ، بعد أن غادر ادارة الأمن العام ، تناول شيئاً آخر غير النبيذ لانه كان يتكلم فى صعوبة ويترنح فى وقفته .

وقالت إحدى الاختين :

- أرجو ألا تهتم به .. إنه أفرط فى الشراب مرة أخرى .

نطقت بقولها هذا دون غيظ ، وكانت تنظر إلى أبيها كما

تنظر الأم الرؤوم إلى ابنها .

وكانت هناك، فى أركان الغرفة الكبيرة المظلمة بعض القطع المنحوتة . وكان واضحا أنها فى مكانها هذا منذ مدة طويلة .

أما الأشياء ، تلك التى تسهم فى الحياة الحالية ، قد كانت عبارة عن لعب من الخشب المنحوت تزحم الغرفة وتملأ المكان برائحة الخشب الطازج . وقال جروسو :

– عندما لا يستطيع الرجل أن يعيش هو وزوجته من الفن فلا عار فى أن يلجأ إلى التجارة لكسب قوت يومه .

وأقبلت مدام جروسو ، ولا ريب أنها تجملت بوجه خاص عندما سمعت رنين الجرس . وكانت امرأة نحيفة ، حزينة القسمات ، ذات عينين مترصدتين ، كما لو كانت تتوقع المصائب دائماً .

– ألا تقدمين مقعدا للقوميسير وآخر لهذا السيد يا هيلين؟

– ان القوميسير يعرف تماما أنه هنا فى بيته يا أماه . أليس كذلك يا مسيو ميجريه ؟

– ألم تقدمى شيئاً ؟

– هل تريد كأسا من النبيذ ؟ .. اننا لا نحتفظ بشىء آخر، بسبب أبى .

كان يبدو أنها هى التى تدير شئون البيت، وكانت هى التى أدارت دفة الحديث على كل حال فقالت :

- أننا ذهبنا أمس إلى السينما ، وعرفنا الرجل الذى تبحثون عنه . لم يكن يدعى موس وإنما بيترز . وإذا كنا لم نأت قبل اليوم . فذلك لان أبى كان مترددا فى الغدر به ، معترضا بأنه كان ضيفا فى البيت ، وإنه شاركنا تناول الطعام مرارا .

- هل كان موجودا هنا منذ وقت طويل ؟

- منذ نحوَ عام ؛ ان الشقة تحتل الطابق كله ، وأهلى يقيمون بها منذ أكثر من ثلاثين سنة ، وولدت فيها أنا وأختى. وفيما عدا الاستوديو فهناك ثلاث غرف . وفى العام الماضى لم تدر علينا اللعب ربحا كافيا بسبب الأزمة الضاربة ، بحيث رأينا أن نؤجر احدى الغرف . ونشرنا اعلانا فى الجريدة ، وهكذا عرفنا مستر بيترز .

- وما هى المهنة التى زعم أنه يمارسها ؟

- قال لنا أنه وكيل شركة انجليزية كبيرة ، وأن له عملاءه بحيث أنه لم يكن يكثر من التنقل . وكان يحدث أحيانا أن يبقى طوال اليوم فى البيت . وكان ينضم إلينا عندئذ ويساعدنا، لاننا نشتغل جميعا فى صناعة اللعب التى يقوم أبى بتصميمها ، وقد جاءتنا طلبية كبيرة فى عيد الميلاد الماضى، وعملنا جميعا ليلا ونهارا .

وكان جروسو يحدق فى زجاجة النبيذ بطريقة يرثى لها بحيث قال ميجريه يخاطبه :

– أعطنى كأسا صغيرا لكىْ نشرب معا .

ورماه الرجل العجوز بنظرة تفيض امتنانا وشكرا ، فى حين ظلت الفتاة تراقب أباها لكى تتأكد أنه لن يصب لنفسه قدرا كبيرا من الشراب .

– كان يخرج بعد الأصيل على الخصوص ويعود فى وقت متأخر . وكان يأخذ حقيبة عيناته معه فى بعض الأحيان .

– هل ترك أمتعته هنا ؟

– أنه ترك حقيبته الكبيرة .

– والحقيبة الصغيرة ؟ ..

– كلا . لم تكن معه .

وتحولت إلى أختها وسألتها قائلة : وبهذه المناسبة ، هل كانت الحقيبة الصغيرة معه عندما انصرف يا أولجا .

– كلا . إنه لم يأت بها عندما عاد آخر مرة .

– كان هادئا ودوعا ، ولعله كان حزينا بعض الشىء . وكان يبقى وحده فى غرفته أحيانا ، فكنا نمضى لكى نسأله إن كان مريضا . وكان يشاركنا غداءنا أحيانا ويساعدنا طوال النهار .

«وكان يحدث أن يختفى أياما كثيرة، ولكنه كان يخطرنا

بذلك ويطلب منا ألا نقلق .

– وكيف كنتم تدعونه ؟

– كنا ندعوه بمسيو جان . أما هو فكان يدعونا بأسمائنا ما عدا ماما طبعا . وكان يأتينا أحيانا ببعض الحلوى وبالهدايا الصغيرة .

– ألم يأتكم أبداً بهدايا قيمة ؟

– ما كنا لنقبلها لو أنه فعل .

– ألم يكن أحد يأتى لزيارته ؟

– لم يأته أحد أبداً . ولم يتلق أية رسائل . وعندما أبدينا له دهشتنا لذلك أجاب بأن له شريكا فى مكتب بالمدينة وأن رسائله تأتى إليه هناك .

– ألا تعرفين متى خرج بالحقيبة آخر مرة ؟

وكانت أولجا ، الاخت الكبيرة هى التى أجابت فقالت : يوم السبت الأخير ، قبل ...

ثم سكتت وهى تتساءل هل تستمر .

– قبل ماذا ؟

– واستعادت الأخت الصغرى دفة الحديث فقالت : لا تخجلى يا أولجا .. أننا نداعب أختى دائما ، كانت تميل إلى مسيو جان .. كان أكبر منها سنا ولم يكن وسيما ولكن ...

- وأنت ؟

-لا أهمية لذلك . رحل يوم سبت في نحو الساعة السادسة ومعه حقيبته . وقد أثار ذلك دهشتنا لانه كان معتادا على الخروج بها يوم الاثنين .

- يوم الاثنين ، بعد الظهر ؟

- نعم . ولم نكن نتوقع أن يعود ، وقد خطر لنا انه سيقضى عطلة نهاية الاسبوع فى مكان ما ، ورحنا نسخر من أولجا لانها تضايقت .

- ليس هذا صحيحا .

- ولا ندرى متى عاد ، فقد كنا نسمعه عادة عندما يفتح الباب . وفى صباح الاحد كنا نظن ان الغرفة خالية ، وأخذنا نتحدث عنه هو بالذات واذا به يفتح الباب ويخرج من غرفته. وكان يبدو مريضا . وطلب من أبي ان يأتيه بزجاجة من الخمر، وزعم أنه أصيب بالبرد ولزم الفراش جزءا من النهار. ولاحظت أولجا وهى ترتب غرفته ان الحقيبة غير موجوده كما لاحظت شيئاً آخر... أنها تزعم هذا على كل حال.

- بل اننى واثقة .

- هذا جائز ، فقد كنت تهتمين به أكثر منا .

- أننى واثقة أن البدلة لم تكن بدلته . كانت زرقاء هى

الأخرى ولكنها لم تكن بدلته . وعندما لبسها لاحظت انها أوسع قليلا عند الكتفين .

- ألم يتكلم عنها أبداً ؟

- كلا . ولم نشر نحن إليها . وعندئذ قال انه أصيب ببرد ولزم غرفته أسبوعا كاملا ولم يغادرها .

- وهل كان يقرأ الجرائد ؟

- جريدة الصباح وجريدة المساء مثلنا .

- ألم تلحظوا شيئا غير عادى ؟

- كلا . فيما عدا أنه كان يسرع إلى غرفته ويغلق بابها عليه بمجرد أن يسمع طرقا على الباب .

- ومتى بدأ يخرج ؟

- بعد ذلك بأسبوع تقريبا . وآخر ليلة قضاها هنا كانت ليلة ١١/١٢ مارس . ومن السهل معرفة ذلك من التقويم الموجود فى غرفته لأننا لم ننتزع منه أية ورقة منذ ذلك اليوم .

قالت الأم فى شىء من القلق : ماذا يجب أن نفعل أيها القوميسير ؟ .. هل تعتقد أنه أرتكب جريمة حقا ؟

- لا أدرى يا سيدتى .

- إذا كان البوليس يبحث عنه ...

- هل تسمحين بأن أرى غرفته ؟

كانت الغرفة فى آخر الطرقة ، وكانت واسعة دون اسراف ، ونظيفة ، بها قطع من الموبيليا البراقة ، وقد علقت لصق الجدران لوحات مقلدة منقولة عن ميشيل انجلو ، وفى إحدى أركانها حقيبة ضخمة سوداء مربوطة بحبل .

– هل لك أن تفتحها يا جانفييه .

ولم يكن يرى ضرورة لذلك ، وقد لقى جانفييه مشقة مع الحبل أكثر من القفل نفسه لان القفل كان عاديا . وانبعثت منها رائحة نفتالين نفاذة . وأخرج جانفييه منها ثيابا كثيرة ، وأحذية ، وأخذ يرتبها فوق الفراش . كانت عبارة عن ثياب مختلفة بدت كما لو كانت ثياب ممثل ... وبينها بدلة سموكنج تحمل اسم أحد كبار الترزيين بلندن ، وبدلة أخرى من ميلان كما كانت هناك بدلا من التيل الأبيض كتلك التى يرتديه أهالى البلاد الحارة ، وبدل صارخة الالوان وأخرى محتشمة وكذلك أحذية كثيرة مصنوعة فى باريس ونيس وبروكسل وروتردام وبرلين .

وأخيرا ، وتحت هذا كله بدلة من تلك التى يرتدي المهرجون ، نظرت الفتاة إليها فى دهشة وقالت :

– هل هو ممثل ؟

– على طريقته .

ولم يكن هناك شيء آخر في الغرفة . أما البدلة الزرقاء التي تكلمت الفتاة عنها فلم تكن موجودة ، لان بيتر موس لبسها عندما خرج آخر مرة ، ولعله لا يزال يلبسها حتى اليوم .

ولم يجد بالادراج غير أشياء تافهة : علب سجائر ومحافظ وأزرار قمصان وياقات وبعض المفاتيح وغليون مكسور .. ولكن لم يكن هناك أي ورقة ولا أي دفتر للعناوين .

- أشكرك يا آنسة . إنك أحسنت التصرف إذ أتصلت بنا، وأنا واثق أنه لن تصادفكم أية مشاكل . أظن أنه ليس لديكم تليفون...

واستطردت تقول في صوت خافت : لم يكن أبي هكذا دائما ، ولا نستطيع أن نحقد عليه لهذا السبب . لم يكن يتناول الشراب أبداً ، ولكنه التقى ببعض الزملاء الفنانين ، وأعتاد أن يمضى للقائهم في مقهى صغير بحى سان جرمان ، وكان ذلك وبالا عليه .

وكانت هناك منضدة صغيرة عليها أدوات دقيقة لحفر الخشب ونشره ومسحه لصناعة مختلف اللعب الدقيقة .

- خذ قليلا من النشارة في ورقة يا جانفييه .

سوف يكون ذلك مدعاة لسرور مويرز ، وأنه ليطربه أن يعرف أنه كان قمينا بأن يهتدى إلى هذه الشقة بشارع باستير

بفضل تحليلات مويرز ... وكان هذا سيقتضى منه أسابيع طويلة، وربما شهوراً قبل أن يصل إليها .

وكانت الساعة قد بلغت العاشرة ، وفرغت زجاجة النبيذ . وعرض جروسو أن يشيع القوميسير وزميله حتى الباب العمومى للبيت ولكن ميجريه لم يسمح له بذلك وقال :

- ربما أعود .

- وهو

- لا أظن ذلك . ومهما يكن فليس هناك ما تخشون من ناحيته .

وقال جانفييه وهو يجلس أمام عجلة القيادة : أين أمضى بك أيها الرئيس ؟

- إلى شارع بون نوفيل ، على كثب من مقهى دى نيجر ، وانتظرنى حتى أعود .

وكان مقهى شوب دى نيجر عبارة عن خمارة كبيرة تقدم الخمر والطعام على أنغام الموسيقى . ورأى ميجريه ليوتار وصديقه الفونسى وصديقتيهما أمام إحدى الموائد وكان الفونسى أول من نهض ، وكان يبدو مضطربا ومرتبكا كما لو كان يتوقع أن يوكله أحد فى حين ابتسم المحامى وهو واثق ومعتد بنفسه ، وبسط يده قائلا :

- هل أقدم لك صديقتينا ؟

وقدمهما إليه فى تواضع ثم قال : هل تفضل أن تجلس معى لحظة إلى هذه المائدة أم تريد أن نجلس على حدة ؟

- على شرط أن يبقى الفونسى مع السيدتين وأن ينتظر ... أننى أفضل أن اصغى إليك على الفور .

كانت هناك مائدة شاغرة بجوار الخزينة ، وكان رواد المقهى عبارة عن بعض تجار الحى ، اقبلوا لتناول العشاء مع زوجاتهم. وكان هناك بعض الزبائن ، بعضهم يلعب الورق والبعض الآخر يمارس لعبة الشطرنج .

- ماذا تشرب ؟ ... كأس من النبيذ وآخر من الكونياك يا جرسون . وتحول ليوتار إلى ميجريه وسأله : هل أثمر نداؤك ؟

- هل استدعيتنى لكى تستجوبنى يا أستاذ ليوتار ؟

- بل ربما لكى نتصالح ، فما رأيك ؟ ربما كنت فظا معك ، ولكن ، إن كلا منا يقف فى جانب من الحاجز فان عملك يقتضيك أن تتهم عميلى أما عملى أنا فهو انقاذه .

- حتى إذا جعلت من نفسك شريكا له ؟

وأصابت الضربة الهدف ، فقد رفع المحامى جفنيه ثم أطرقهما مرتين أو ثلاثا ثم قال :

- أننى لا أدرى ماذا تعنى . ولكن مادمت تفضل هذا

فسأمضى إلى الغاية قدما . لقد أراد القدر أن يمكنك من الاضرار بى أيها القوميسير وأن تعوق مستقبلا يتوقع له الجميع ازدهارا باهرا .

– لست أشك فى هذا .

– شكرا لك . إن نقابة المحامين صارمة فى لوائحها وأنظمتها ، وأعترف أننى فى لهفتى للوصول إلى ما أريد لم أتبعها .

شرب ميجريه النبيذ فى براءة تامة وهو ينظر إلى الصرافة ثم قال :

– إننى أنتظر يا مسيو ليوتار .

– كنت أرجو أن تساعدنى لانك تعرف تماما عن أى شىء أتكلم .

وأستطرد المحامى يتكلم وهو يرى ميجريه لا ينطق : انك تعرف أيها القوميسير أننى أنتمى إلى أسرة فقيرة ... فقيرة جدا ... – أسرة الكونت ليوتار !

– اننى قلت أسرة فقيرة جدا ولم أقل نبيلة. وقد لقيت أكبر العناء لكى أدفع نفقات دراستى واضطررت ، وأنا طالب ، أن أمارس شتى المهن ، بل أننى عملت فى إحدى دور السينما الكبيرة ... كنت أرشد النظارة إلى مقاعدهم . ومرت بى أيام

عصيبة منذ شهر لم أكن أجد فيها ما يسد رمقى . وكنت أنتظر مثل زملائى الذين فى نفس سنى ، وبعض منهم أكبر منى سنا ، القضية التى قد تتيح لى أن أفرض نفسى .

- وهل وجدت هذه القضية ؟

- وجدتها . وهذا ما أقصد الوصول إليه بحديثى هذا . ولكن فى يوم الجمعة ، وفى مكتب مسيو دوسان ، نطقت أنت ببضع كلمات جعلتنى أعتقد أنك تعرف الكثير عن هذه القضية، وأنك لن تتردد فى استخدام ما تعرفه ضدى .

- ضدك ؟

- ضد موكلى إذا أردت .

- اننى لا أفهم .

وطلب ميجريه ، من تلقاء نفسه ، كأسا آخر من النبيذ لانه وجده من نوع جيد . وقال ليوتار :

- أرى أنك تريد أن أتكلم وحدى وأن تظل ممسكا بالخيط الناجح . إننى أرتكبت غلطة مهنية حين توليت الدفاع عن فرانز ستوفيل .

- غلطة واحدة ؟

- إننى عرفت بأمر هذه القضية بطريقة مبتذلة جدا ، وأرجو ألا يواجه أحد أية مشاكل بسببى ، فان صداقة قوية

تربطنى بشاب يدعى انطوان بيزار يقيم فى نفس البيت الذى أقيم فيه ، واجهت معه أياما عصيبة واتفق أن اشتركنا فى تناول علبة سردين أو خيارة واحدة . ومنذ وقت قصير وبيزار يعمل بصفة مستمرة فى إحدى الجرائد ، وله صديقة ...

- أخت مفتش يعمل معى .

- ها أنت تعترف بأنك تعرف ...

- يروق لى أن أسمعك تقول هذا .

- وبيزار ، بحكم عمله فى الجريدة ، لانه يتولى تحرير صفحة الحوادث ، يعرف بعض الوقائع قبل الجمهور .

- تعنى بعض الجرائم ؟

- إذا أردت ... وقد إعتاد أن يتحدث معى فى التليفون..

- لكى تتمكن من الذهاب إلى من يعنيهم الأمر وعرض خدماتك .

- أنك منتصر قاس يا مسيو ميجريه .

- استمر .

وكان دائم التحديق فى الصرافة وحريصا فى نفس الوق على التأكد من أن الفونسى يجلس مع السيدتين .

- وقد قال لى أن البوليس يهتم بأحد المجلدين فى شا تورين .

– وكان ذلك يوم ٢١ فبراير .. فى أول الأصيل ...

– هذا صحيح . وقد ذهبت إليه وتكلمت معه حقا عن بعض الكتب قبل أن أتعرض للمسألة الشائكة .

– تعنى مسألة المرمد ؟

– هذا كل شىء . وقلت لستوفيل إنه إذا كان يواجه أية مشاكل فانه يسرنى أن أتولى الدفاع عنه ، وأنت تعرف كل هذا . ولم أطلب مقابلتك اليوم بسببى أنا بوجه خاص ، وإنما بسببه هو أيضا فان ما يضر بى الآن سوف ينقلب عليه ويضره هو الآخر . هذه هى الحقيقة يا مسيو ميجريه ، وعليك أنت أن تتخذ قرارك . فى إمكانك أن تشطب اسمى من سجل المحامين غدا صباحا ، وما عليك فى سبيل هذا إلا أن تمضى إلى نقيب المحامين وتخبره بكل ما تعرف .

– هل بقيت وقتا طويلا مع المجلد ؟

– ربع ساعة على الأكثر .

– وهل رأيت زوجته ؟

– أظن أنها أطلت برأسها ، فى وقت من الأوقات ، من أعلى السلم .

– هل أطلعك ستوفيل على أسراره ؟

– كلا . وإنى مستعد لأن أقسم بهذا .

- سؤال آخر يا أستاذ ... منذ متى والفونسى يعمل فى خدمتك .

- إنه لا يعمل فى خدمتى ، وإنما يدير مكتبا خاصا للأبحـاث .

- مكتب هو الموظف الوحيد به .

- هذا لا يعنينى . إننى إحتاج لبعض المعلومات لكى أتمكن من الدفاع عن عميلى ، ولا أستطيع أن أجمع هذه المعلومات بنفسى .

- وكنت بحاجة على وجه الخصوص إلى أن تعرف ما أعرفه يوما بعد يوم .

- هذه أصول الحرب ، أليس كذلك ؟

وتناولت الصرافة سماعة التليفون الذى راح يصلصل ، وقالت بعد لحظة : دقيقة واحدة .. لا أدرى ... سوف أرى .

وإذ همت أن تفتح فمها لكى تستدعى الجرسون نهض القوميسير وقال : أهذه المكالمة لى ؟

- من أنت ؟

- اسمى ميجريه .

وكانت هى المكالمة التى ينتظرها من لابوانت . وكان صوت الشاب يتهدج لفرط انفعاله وهو يقول :

- أهذا أنت يا سيدى القوميسير ... إنها معى .
- وأين وجدتها ؟
- لم أجدها فى مسكن المحامى ، وقد أوشكت البوابة أن تفاجئنى . وذهبت بعد ذلك إلى شارع دوويه ، وكان الأمر سهلا كما تقول ، فلم أجد صعوبة فى فتح الباب . وكانت الحقيبة تحت الفراش ... ماذا أفعل الآن ؟
- أين أنتِ .
- فى محل لبيع السجائر بشارع دوييه .
- اركب سيارة أجرة وعد إلى ادارة الأمن العام . سألتقى بك هناك .
- حسنا أيها الرئيس . هل أنت راض عنى .
وهكذا جرفه الحماس والزهو فسمح لنفسه بأن ينطق بالكلمة لأول مرة ، ولكنه كان يشعر بالأطمئنان مع ذلك . وقال ميجريه :
- أنك أحسنت .
وكان المحامى ينظر إلى القوميسير فى قلق. وعاد هذا الأخير إلى مكانه وهو يتنهد فى إرتياح وأشار إلى الجرسون:
- كأس آخر. ولعل من الأوفق أن تقدم كأسا لهذا السيد .
قال ليوتار : ولكن ...

- اهدأ يا صاحبى ولا تجزع ...

وكانت هذه الكلمات القلائل كافية لن تثير الرعب فى أوصال المحامى .

- إننى لن أذهب إلى نقابة المحامين لكى أشكوك وإنما إلى المحامى العام . ومن الجائز أن استصدر غدا أذنين بالقاء القبض أحدهما باسمك والآخر باسم الفونسى .

- هل تمزح ؟

- بماذا يحكم القاضى على من يخفى معلومات فى قضية قتل ؟ .. يجب أن أراجع نصوص القانون ... سأفكر فى هذا وأتركك الآن لكى تدفع الحساب .

ونهض واقفا وأردف يقول فى هدوء وهو ينحنى فوق كتفى ليوتار : ان الحقيبة معى .

(٩)

صورة ديبيب

كانت الساعة قد شارفت على التاسعة حين أتصل ميجريه بمكتب القاضي للمرة الأولى وقال يحدث الكاتب :

– هل لك أن تسأل مسيو دوسان إن كان يستطيع استقبالى؟

– ها هو بالذات .

وقال هذا الأخير يسأله : هل هناك جديد ؟ ... أعنى فيما عدا ما ذكرته جرائد الصباح .

كان شديد الإنفعال لان الجرائد كانت قد نشرت نبأ العثور على السيارة البنية اللون وجثة المرأة العجوز فى لاينى .

– أظن ذلك . سآتى لكى أتحدث معك بعد قليل .

ولكن ، كان القوميسير كلما مضى بعد ذلك نحو الباب يعوقه شيء ... صليل جرس التليفون أو قدوم أحد المفتشين لكى يقدم تقريره .

وإتصل القاضى بلوكاس وسأله :

– أما زال القوميسير موجودا فى مكتبه ؟

– نعم . هل تريد أن أوصلك به ؟

- كلا . أظن أنه مشغول. سوف يأتى بعد لحظة بالتأكيد.

ومرت الدقائق سراعا ، واستقرت نيته أخيرا على أن يطلب ميجريه وقال له :

- معذرة لازعاجى إياك ، فاننى أظن أنك مشغول جدا ولكننى استدعيت ستوفيل لاستجوابه فى الساعة الحادية عشرة ولا أريد أن ابدأ الاستجواب قبل أن أراك .

- هل يضايقك أن يتم هذا الإستجواب مواجهة ؟

- مع من ؟

- مع زوجته طبعا . إذا سمحت ، فسوف أبعث أحد رجالى لكى يأتى بها .

- أتريد أمر استدعاء قانونى ؟

- ليس هذا ضرورياً .

وانتظر مسيو دوسان عشر دقائق أخرى وهو يتظاهر بأن يدرس القضية . وأخيرا سمع طرقة على الباب . وأوشك أن يسرع لكى يفتحه . ورأى ميجريه يدخل وفى يده حقيبة .

- هل أنت مسافر ؟

ودلته إبتسامة القوميسير على حقيقة الأمر فصاح وهو يستطيع أن يصدق عينيه .

- الحقيبة !

- أؤكد لك أنها ثقيلة .

- كنا على حق اذن ؟

وأحس بحمل ثقيل ينزاح عن صدره ، فان الحملة المستمرة التى قام بها فيليب ليوتار هزت أعصابه ، خاصة وأنه هو الذى تحمل مسئولية إبقاء ستوفيل فى السجن .

- أهو مذنب ؟

- بما فيه الكفاية لكى يبقى فى السجن بضع سنوات .

كان ميجريه قد عرف محتويات الحقيبة منذ اليوم السابق ، ولكنه مع ذلك قام بجردها مرة أخرى بنفس السرور الذى يشعر به الطفل وهو يستعرض الهدايا التى تلقاها فى عيد الميلاد .

وكانت الحقيبة ثقيلة حقا ، ولا غرو فى ذلك فقد كانت مملوءة بألواح معدنية ، أشبه بتلك التى يستخدمها مجلد الكتب فى عمله ولكنها كانت فى الواقع اختاما لبلاد مختلفة. وكانت تحتوى كذلك على أختام من الكاوتشوك ، كتلك التى تستخدم فى المديريات والمحافظات . وكانت مرتبة بعناية كبيرة ونظام كما لو كانت عينات بائع متجول .

وقال ميجريه: هذا عمل ستوفيل. كان أخوه الفريد يمده بالنماذج وجوازات السفر البيضاء. وجميع هذه الأختام ليست مزيفة وإنما هى حصيلة سرقات وقعت فى القنصليات والسفارات .

– وهل كانا يقومان بهذا العمل منذ وقت طويل ؟

– لا أظن ذلك . منذ سنتين تقريبا ، استنادا إلى حسابات البنوك . والواقع أننى أتصلت صباح اليوم بأكثر بنوك باريس ، وهذا هو السبب الذى أخرنى حتى الآن .

– إن لستوفيل حسابا خاصا فى بنك الشركة العامة بشارع سانت انطوان ، أليس كذلك ؟

– وله حساب آخر فى بنك أمريكى بميدان فندوم وآخر فى بنك إنجليزى بالبوليفار . وحتى الآن عثرنا على خمسة حسابات فى خمسة بنوك مختلفة ، وقد بدأ ذلك من سنتين ، أى منذ أن أقام اخوه فى باريس .

وكانت الدنيا تمطر ، والجو مكفهراً ، وكان ميجريه جالسا بجوار النافذة يدخن غليونه .

– إن الفريد موس لا ينتمى إلى طبقة المجرمين المحترفين يا سيدى القاضى ، فان لهؤلاء تخصصا يتمسكون به فى أغلب الأحيان ... ولم أر نشالا يحاول السطو على البيوت ولا لصا يزيف شيكا أو يحاول الاحتيال على الطريقة الأمريكية .

والفريد موس مهرج قبل كل شىء ... بهلوان .

وقد وقع من عل وهو يمارس مهنته هذه ، وكانت وقعته سببا فى تغيير مجرى حياته. ولا أخطىء إذا قلت أنه أفلح فى

خبطته الأولى عن طريق الصدفة. وساعده فى ذلك معرفته باللغات الأجنبية ، فقد التحق بأحد الفنادق الكبرى فى لندن ، وسنحت له الفرصة لكى يسرق بعض المجوهرات.. ولم يدعها تفلت من يده .

وساعدته تلك المجوهرات على العيش بعض الوقت ، ولكنه لم يكن بالوقت الطويل لانه مصاب بداء ، وقد عرفت ذلك فى صباح اليوم بالذات من صاحب الخمارة التى تقع فى الحى الذى كان يقيم فيه ... فانه يهوى المراهنة على السباق ، ومثله فى ذلك مثل جميع الهواه ، فهو لم يكتف بممارسة طريقة واحدة فى السرقة ، وإنما حاول أن يجرب كل شىء .

وقد أقدم على ذلك بمهارة كبيرة ، وحالفه الحظ فلم يتمكن رجال البوليس من ادانته حتى اليوم .

وعرف حياة اليسر والعسر ، فكان يسرق يوما على الطريقة الأمريكية ويزور بعد ذلك شيكا .

وتقدمت به السن وأصبح أمره معروفا فى أغلب العواصم وسجل اسمه فى القائمة السوداء للفنادق الكبرى حيث إعتاد أن يعمل .

– وتذكر أخاه عندئذ ؟

– نعم . وكان ذلك منذ سنتين، وكان يمارس تهريب الذهب،

ولكن هذه المهمة لم تعد تدر عليه شيئا يذكر ، وبدأت الجوازات المزورة ، وخصوصا إلى أمريكا تصل إلى مبالغ خيالية، وقال لنفسه أن المجلد سيعرف كيف يدبر أمره بالاختام الرسمية لانها تدخل فى صميم عمله..

– إن الأمر الذى يدهشنى هو أن ستوفيل قد قبل ذلك مع إنه لم يكن محتاجا .. هذا إلا إذا كان يحيا حياة مزدوجة لم نكتشفها بعد ...

– إنه لا يحيا حياة مزدوجة ، ولكنه البؤس .. وأعنى به البؤس الحقيقى الذى عرفه فى طفولته ثم فى حداثته ، وهو بؤس يخلق نوعين من الناس : أسخياء وبخلاء ، ولكنه يخلق فى أغلب الأحيان بخلاء ، وهؤلاء يشفقون من عودة الأيام السوداء بحيث لا يحجمون عن أى شىء ضمانا للمستقبل .

ولا أخطىء إذا قلت ان هذا هو الحال مع ستوفيل ، وأن قائمة البنوك التى فتح له حسابا فيها لاكبر دليل على ذلك . وأنا مقتنع أنه لم يحاول بذلك إخفاء ثروته لانه لم يخطر بباله أن أمره قد يفتضح ، وإنما كان يشك فى البنوك وفى التأميم وهبوط الأسعار، فحاول أن يدخر مبالغ صغيرة فى بنوك مختلفة.

– حسبت أنه لم يكن يفارق زوجته تقريباً .

– هذا صحيح . كانت هى التى تفارقه ... وقد قضيت وقتا

لكى اكتشف ذلك ، فانها تمضى بعد ظهر كل يوم اثنين إلى المغسل لغسل ثيابهما ، وكان موس يأتى تقريبا كل يوم اثنين ومعه حقيبته . وإذا ما بكر فى الحضور انتظر رحيل زوجة أخيه فى مقهى صغير.

وكان أمام الأخوين طوال فترة بعد الظهر لمباشرة عملهما . وكانت الاوراق والمستندات لا تبقى فى شارع تورين أبدا لان موس كان يحرص على أن يأخذها معه .

وفى بعض الأوقات كان ستوفيل يجد متسعا من الوقت لكى يسرع إلى أحد البنوك فيودع فيه نقوده .

– ولكننى لا أرى دور المرأة الشابة صاحبة الطفل ولا دور الكونتيسة بانيتى ولا ...

– سوف انتقل إلى كل ذلك يا سيدى القاضى ، وإذا كنت قد حدثتك عن الحقيبة قبل كل شىء فذلك لأنها هى التى شغلتنى قبل غيرها . ومنذ أن اكتشفت أمر موس وارتبت فى نشاطه شغلتنى مسألة أخرى. لقد كانت العصابة تعيش فى هدوء حتى يوم الثلاثاء ولكن حدث شىء فجأة.. شىء غير عادى بدد هذا الهدوء، وكان سببا فى تشتيت افرادها. فما الذى حدث ؟

اننى أتحدث عن ذلك الحادث الذى وقع لزوجتى صدفة فى ميدان دانفر .

كان موس يعيش حتى اليوم السابق فى أتم هدوء ، فى

غرفته المفروشة بشارع باستير .

وكان ليفين والطفل يقيمان فى فندق بوسيجور ، حيث كانت جلوريا تمضى وتأخذ الطفل كل صباح وتخرج به للنزهة .

ولكن ، فى الساعة العاشرة من صباح يوم الثلاثاء المذكور مضى موس إلى فندق بوسيجور ، ولم يكن قد وضع قدميه فيا قبل ذلك من باب الاحتياط .

وحزم ليفين حقيبته على الفور وأسرع إلى ميدان دانفر واستدعى جلوريا ، وتركت هذه الأخيرة الطفل لكى تتبعه .

وبعد ظهر ذلك اليوم بالذات أختفى الجميع ولم يتركوا أثرا خلفهم .

فما الذى حدث صباح يوم الثلاثاء ؟

لم تأت لموس مكالمة تليفونية لان البيت الذى يقيم فيه ليس فيه تليفون .

ولم أقم ، لا أنا ولا رجالى بأى اجراء من شأنه اثارة الخوف بين أعضاء العصابة ، لاننا لم نشك فى أمرهم ابداً .

وكان فرانز ستوفيل فى السجن .

ومع ذلك فقد حدث شىء .

ولكننى عرفت بطريق الصدفة البحتة الرد على هذا السؤال مساء أمس فقط ، عندما عدت إلى بيتى .

كان شعور مسيو دوسان بالارتياح كبيرا جدا لان الرجل الذى أمر بايداعه السجن لم يكن بريئا ، وراح يصغى إلى ميجريه وعلى شفتيه ابتسامة كما لو كان يصغى الى رواية شائقة .

– لقد قضت زوجتى الأمسية وهى تنتظرنى ، وانتهزت الفرصة لكى تقوم بعمل صغير كانت تزاوله ما بين وقت وآخر . والواقع أنها تحتفظ فى كراساتها بمقالات الجرائد التى تتحدث عنى ، وهى تحرص على ذلك كل الحرص منذ أن قام أحد مديرى البوليس الجنائى بنشر مذكراته . وكانت ترد على إذا سخرت منها فتقول :

– يحتمل أن تكتب مذكراتك ذات يوم ، بعد أن تعتزل وتعيش فى الريف .

وقد عدت مساء أمس إلى البيت فرأيت زجاجة الصمغ والمقص على المنضدة ، ورحت أنضو عنى ثيابى وأنا ألقى نظرة إلى مقالة كانت تلصقها تتوسطها صورة لى كنت قد نسيت أمرها تماما ، وهى صورة خاطفة التقطها صحفى نورماندى ناشىء فاجأنى أنا وزوجتى على عتبة فندق صغير فى دييب كنا قد أقمنا فيه بضعة أيام .

وأدهشنى أن أرى هذه الصورة من جديد فى مجلة مصورة ، وقالت لى زوجتى :

- ألم تقرأها ؟ إنها ظهرت حديثا وبها مقال من أر
صفحات عن أيامك الأولى فى البوليس الجنائى وعن طريقت
فى العمل .

وكانت هناك صور أخرى من بينها واحدة عندما كنت لاأزا
سكرتيرا فى أحد مراكز البوليس ، وكنت أطلق شاربى عندئذ

- متى ظهر ؟

- أتعنى المقال ؟ ... الأسبوع الماضى ... ولم أجد الوق
الكافى لكى أطلعك عليه لانك كنت لا تبقى فى البيت تقريبا

صفوة القول ، نشر المقال فى مجلة أسبوعية تصدر ف
باريس وعرضت للبيع فى صباح يوم ١٢ مارس .

وقد بادرت بارسال أحد رجالى إلى الأسرة التى كان موه
يقيم معها فى ذلك التاريخ ، وقالت أصغر الفتاتين أنه
صعدت بالمجلة واللبن فى نحو الساعة الثامنة والنصف وأ
موس راح يتصفحها وهو يتناول إفطاره .

واتضح لى كل شىء عندئذ . بل إن ذلك يفسر جلوس
جلوريا على المقعد بميدان دانفر .

فقد تفرقت العصابة واختفت بعد الجريمتين وعقب القبض
على ستوفيل، ولا ريب أن ليفين غير الفندق مرارا قبل أن يست
فى شارع ليبيك، ولم يكن يخرج مع جلوريا بدافع الحرص ، ب

إنهما تجنبا أن يرقدا معا فى نفس المكان .

وكان موس يذهب صباح كل يوم لاستقاء الأنباء فى ميدان دانفر ، وكان يكتفى بالجلوس على حافة المقعد .

وأنت تعرف أن زوجتى جلست ثلاث أو أربع مرات على نفس المقعد فى إنتظار أن يحين موعدها مع طبيب الأسنان ، وتعرفت السيدتان وراحت كل منهما تثرثر مع الأخرى . ولا ريب أن موس رأى مدام ميجريه ولم يعرها أى إهتمام .

ولك أن تتصور رد الفعل الذى أحس به عندما رأى من المجلة أن سيدة المقعد ما هى إلا زوجة القوميسير المكلف بالتحقيق.

ما كان ليستطيع أن يصدق أن الأمر مجرد صدفة ، اليس كذلك ؟ .. وخطر له طبعا أننا وراءه وأننى كلفت زوجتى بهذا الجزء الدقيق من التحقيق .

وأسرع إلى شارع ليبيك وأبلغ ليفين ، وأسرع هذا الأخير بدوره وأبلغ جلوريا .

- ولماذا تشاجرا ؟

- ربما بسبب الطفل . لعل ليفين لم يقبل أن تمضى جلوريا لاسترداده فتعرض نفسها للوقوع فى قبضتنا ، ولكنها أصرت على الذهاب ، وأحتاطت بقدر الإمكان .

وهذا يحملنى على الظن بأنهم لن يكونوا معا عندما نهتدى

إليهم ، فهم يعلمون أننا نعرف جلوريا والطفل ولا نعرف شيئا عن ليفين . ولا ريب أن هذا الأخير قد مضى فى طريق وأن موس مضى فى طريق آخر .

– هل تنوى القبض عليهما ؟

– ربما غدا وربما بعد سنة ، فأنت تعرف كيف يدور هذا .

– ولكنك لم تقل لى حتى الآن أين وجدت الحقيبة ؟

– ربما تفضل ألا تعرف كيف حصلنا عليها لانى اضطررت فى الواقع إلى استخدم سبل غير قانونية أتحمل أنا وحدى مسئوليتها ، ولا يمكنك أنت أن تقرها .

ولكن يكفى أن تعلم أن ليوتار هو الذى أخذها من ستوفيل لانها تعرضه للشبهة .

ولسبب ما ذهب موس إلى شارع تورين يوم السبت وتركها هناك . ودفعها ستوفيل بكل بساطة تحت المنضدة ، فى ورشته وهو يظن أن أحداً لن يهتم بها .

وفى يوم ٢١ فبراير مضى لابوانت متذرعا باحدى الحجج وفتش المكان .

والمعروف أن فرانز ستوفيل لم يكن فى إستطاعته الاتصال بأخيه ، ولا بأى شخص آخر من العصابة طبعا لكى يبلغه بما حدث. ولدى فكرة فى هذا الصدد .

ولا ريب أنه راح يتساءل كيف يتخلص من الحقيبة ، وأنه كان ينتظر هبوط الليل دون أى شك لكى يفعل ذلك ، ولكن ليوتار تقدم إليه ، ولم يكن قد سمع عنه من قبل .

– وكيف عرف ليوتار بالأمر ؟

– عن طريق أحد رجالى وبطريقة غير مباشرة ، ولست ألومه على ذلك ، ولا أظن أن مثل هذا الأمر سيقع ثانية . مهما يكن فان ليوتار عرض خدماته ، بل أكثر قليلا مما نتوقع من محام مادام قد أخذ الحقيبة معه .

– هل وجدتها فى بيته ؟

– بل فى مسكن الفونسى ، وكان قد أعطاها له .

– وإلى أى شيء وصلنا الآن ؟

– لم نصل إلى شيء ما .... أعنى أننا لم نعرف شيئا عن الجريمتين . لقد قتل رجل فى شارع تورين ، وقبلها قتلت الكونتيسة بانيتى فى سيارتها ولكننا لا ندرى أين . ولا ريب أن تقرير الدكتور بول قد جاءك وفيه يقول أنه عثر على رصاصة فى رأس المرأة العجوز .

ومع ذلك فقد جاءتنى معلومة صغيرة من إيطاليا ، فقد وقع الطلاق بين كرينكر وزوجته منذ أكثر من سنة فى سويسرا لان الطلاق غير معروف فى إيطاليا ، وقد استعادت ابنة الكونتيسة

بانيتى حريتها لكى تتزوج أمريكيا تقيم معه فى تكساس فى الوقت الحالى .

- ألم تتصالح مع أمها ؟

- أبدا . فقد كانت أمها شديدة الغضب منها ، وكرينكر رجل هنغارى من أسرة طيبة ، ولكنه فقير . وقد قضى فترة من موسم الشتاء فى مونت كارلو ، يحاول أن يثرى عن طريق القمار ولكن عبثا .

وقد قدم إلى باريس قبل موت حماته بثلاثة أسابيع ، وأقام فى فندق الكومودور ثم انتقل منه إلى فندق صغير بشارع كومارتن .

- ومتى التحقت جلوريا بخدمة المرأة العجوز ؟

- منذ أربعة أو خمسة شهور . ولكننا لم نتأكد من ذلك تماما .

وتناهت إلى الأسماع حركة فى الخارج ثم أقبل الحاجب وأعلن عن قدوم المتهم ، فقال مسيو دوسان وقد أحس بمسئوليته من جديد :

- هل أقول له كل هذا ؟

- شىء من أثنين . أما أن يتكلم أو أن يلتزم الصمت . وقد أهتممت ببعض الهنغاريين من قبل ، وأدركت أنهم صلبو

الرأس ، شديدو العناد . وأمامنا أسابيع طويلة ، بل أكثر ... والواقع أنه يجب أن ننتظر حتى نهتدى إلى أحد الأشخاص الأربعة .

- الأربعة ؟

- موس وليفين والمرأة والصبى . ولعل الصبى هو الذى يتيح لنا كل الفرص .

- هذا إذا كانوا لم يتخلصوا منه ؟

- إذا كانت جلوريا قد عادت لكى تسترده من زوجتى مجازفة بالقاء القبض عليها فذلك لانها تتشبث به .

- هل تظن أنه ابنها ؟

- أعتقد هذا . ومن الخطأ أن تعتقد أن المجرمين ليسوا أناسا مثلنا ، يمكنهم أن ينجبوا أطفالا وأن يحبوهم .

- أهو ابن ليفين ؟

- بدون شك .

ونهض دوسان ، وابتسم ابتسامة لا تخلو من خبث ولا من تواضع وقال :

- لابد لنا الآن من استجوابه استجوابا دقيقا ، وأنا لست بارعا فى هذه الناحية للأسف .

- سأحاول أن أتحدث إلى ليوتار ، بعد أذنك طبعا .

- لكى ينصح عميله بأن يتكلم ؟

- من مصلحة كل منهما الآن أن يتكلم .

- هل أدعهما يدخلان الآن ؟

- لحظة واحدة .

وخرج ميجريه، وقال للرجل الجالس على المقعد إلى اليسين:

- صباح الخير يا ستوفيل .

وفى هذه اللحظة بالذات ظهر جانفييه فى أول الممر وبرفقته فرناند ، وهى فى شدة الانفعال . وتردد المفتش فى أن يترك المرأة تنضم إلى زرجها ، ولكن ميجريه قال :

- يمكنكما أن تتكلما معا ، فان القاضى ليس مستعدا بعد.

وأشار إلى ليوتار أن يتبعه ، وأخذا يتحدثان فى صوت خافت وهما يسيران جيئة وذهابا ، فى الممر حيث يقف بعض رجال الشرطة أمام أغلب الابواب ، واستمر ذلك خمس دقائق وقال ميجريه أخيراً :

- ما عليك إلا أن تطرق الباب متى شئت .

وعاد وحده إلى مكتب دوسان ، تاركا ليوتار وستوفيل وفرناند يتبادلون الحديث . وقال القاضى .

- حسنا ؟

- ستعرف ذلك بعد لحظات . إن ليوتار موافق طبعا

وسأكتب لك تقريرا أتحدث فيه عن الحقيبة دون أن أورطه .

- هذا عمل غير سليم ، أليس كذلك ؟

- هل تريد إلقاء القبض على القتلة ؟

- إنني أفهمك يا ميجريه ، ولكن أبي وجدى ماتا وهما يباشران عملهما في سلك القضاء ، وأريد أن أنتهى أنا أيضاً مثلهما .

واصطبغ وجهه وانتظر في فروغ صبر وهو يخشى في نفس الوقت أن يسمع طرقا على الباب .

وانفتح الباب اخيراً، وكانت فرناند قد بكت ، وكانت تمسك منديلها في يدها ، وبحثت بعينيها عن ميجريه على الفور ، وألقت إليه نظرة يائسة كما لو كانت تعتقد أن باستطاعته إصلاح الأمور .

أما ستوفيل فلم يتغير . كان لا يزال محتفظا بهدوئه وإصراره في نفس الوقت ، ومضى فجلس في سكون على المقعد الذى أشاروا له عليه .

وعندما أراد الكاتب أن يحتل مقعده قال له مسيو دوسان :

- بعد قليل . سأدعوك عندما يصبح الاستجواب رسميا . هل أنت موافق يا أستاذ ليوتار ؟

- تماما وأشكرك .

وبقى ميجريه واقفا أمام النافذة التى راحت قطرات المطر تنحدر عليها . كان الجو مكفهراً والسماء ملبدة .

وسعل القاضى مرة أخرى أو مرتين ثم قال مترددا : أظن يا ستوفيل أن القوميسير يريد أن يلقى عليك بعض الأسئلة .

واضطر ميجريه ، وكان قد أشعل غليونه أن يلتفت وهو يحاول أن يغالب ابتسامة مرحة . وبدا يقول وهو واقف مكانه كما لو كان يلقى درساً :

– أظن أن محاميك أطلعك على حقيقة الموقف فى بضع كلمات . أننا نعرف نشاطك ونشاط أخيك ، ومن المحتمل أنه ليس لدينا ما نلومك عليه غير ذلك فيما يخصك أنت .

والواقع أن البدلة التى عليها بقع الدم ليست بدلتك أنت وإنما بدلة أخيك ، وقد تركها لديك .

– ولكن أخى لم يقتل هو الآخر .

– هذا جائز . هل تريد أن أستجويك أم تفضل أن تذكر لنا ما تعرفه ؟

لم يكن لديه الآن حليف فى شخص الأستاذ ليوتار فحسب ، فقد شجعت فرناند فرانز بنظرة لكى يتكلم .

– سلنى ، وسأرى إن كان فى استطاعتى أن أجيب .

ومسح زجاج نظارته ، وانتظر وقد أحنى كتفيه وأمال رأسه

إلى الأمام كما لو كانت قد ثقلت عليه .

– متى عرفت أن الكونتيسة بانيتى قتلت ؟

– فى مساء يوم السبت .

– هل تعنى مساء اليوم الذى أقبل فيه موس وليفين وشخص ثالث لا ريب أنه كرينكر إلى محلك ؟

– نعم

– وهل أنت الذى بعثت تلك البرقية لاقصاء زوجتك ؟

– بل إننى لم أكن على علم بها .

كان هذا معقولا ، فان الفريد موس كان يعرف عادات البيت بما فيه الكفاية كما كان يعرف كل ما يمت بصلة إلى حياة الزوجين .

– بحيث أنك كنت تجهل كل شىء عندما طرقوا بابك فى نحو الساعة التاسعة ؟

– بل إننى لم أشأ أن أدعهم يدخلون ... كنت اقرأ فى القبو فى هدوء .

– وماذا قال لك أخوك ؟

– إن أحد زملائه بحاجة إلى جواز سفر فى نفس الليلة وإنه جاء معه بالادوات اللازمة لكى أقوم بالعمل على الفور .

– هل كانت هذه أول مرة يصطحب معه بعض الأغراب .

- كان يعرف أنني لا أريد أن أرى أحداً .
- ولكنك كنت تعرف أن له شركاء ؟
- كان قد قال لى انه يعمل مع رجل يدعى شوارتز .
- ذلك الذى كان يقيم فى شارع ليبيك وينتحل اسم ليفين ؟ .. رجل أسمر بدين ؟
- نعم .
- وهل هبطتم جميعا إلى القبو ؟
- نعم ، فلم أكن أستطيع العمل فى الورشة فى مثل تلك الساعة لأن الجيران سيستغربون .
- حدثنى الآن عن الرجل الثالث .
- اننى لا أعرفه .
- هل كان يتكلم بلهجة أجنبية
- نعم . كان هنغاريا ، وكان يبدو متلهفاً على الرحيل ويصر على أن يعرف إذا لم يكن سيواجه أية مشاكل فيما يتعلق بالجواز .
- لأى بلد ؟
- الولايات المتحدة ، فهى أصعب من غيرها فى التزييف بسبب بعض العلامات الخاصة المتفق عليها بين القنصليات ومكاتب الهجرة .

- وهل قمت بالعمل ؟

- لم أجد الوقت لذلك .

- ماذا حدث ؟

- كان شوارتز يفحص المكان كما لو كان يتأكد أن أحداً لا يمكن أن يفاجئنا ، وبغتة ، وبينما كنت أوليهم ظهرى وأنحنى فوق الحقيبة الموضوعة فوق مقعد سمعت طلقة ورأيت الهنغارى يقع .

- أهو شوارتز الذى أطلق النار ؟

- نعـــم .

- وهل بدا أخوك مشدوها ؟

لحظة تردد ثم قال : نعم .

- وماذا حدث بعد ذلك ؟

- قال لنا شوارتز ان هذا هو الحل الوحيد وأنه لا حيلة له فى ذلك ، فمن رأيه أن كرينكر كان مشدود الأعصاب وكان جديرا بأن ينكشف امره ، وإذا ما حدث ذلك تكلم . وأردف يقول : «إننى أخطأت إذ حسبته رجلا» . ثم سألنى أين المرمد.

- هل كان يعرف أن لديك مرمدا ؟

- أظن ذلك .

عن طريق موس طبعا ، كان ذلك واضحا . كما كان من الواضح أن فرانز لا يريد أن يدين أخاه .

- وقد أمر الفريد باشعال النار وطلب منى أن آتيه بأدوات حادة وهو يقول : إننا جميعا فى نفس المأزق يا رفاق . ولو أننى لم أقتل هذا الغبى لقبض علينا البوليس قبل أسبوع . لم يره أحد معنا ولا أحد يعرف أنه هنا ولا أهل له لكى يبحثوا عنه . وإذا اختفى فسوف نعيش فى هدوء .

ولم تكن اللحظة مناسبة لسؤال المجلد إذا كان كل منهم قد اشترك فى التقطيع .

- هل حدثك عن موت المرأة العجوز ؟

- نعـنـم .

- هل كانت هذه أول مرة تراه فيها ؟

- لم أر أحدا منهم بعد أن استقلوا السيارة راحلين .

وأصبح أكثر تحفظا فى حين ظلت عينا فرناند تنتقل ما بين زوجها وميجريه .

- تكلم يا فرانز . إنهم هم الذين زجوا بك فى هذه الورطة وهربوا ، ولا فائدة لك فى التزام الصمت .

وأردف الاستاذ ليوتار يقول : بصفتى محاميك ، أستطيع أن أقول لك ان من واجبك أن تتكلم ومن مصلحتك أيضا

وأظن أن العدالة سوف تقيم وزنا لصراحتك .

نظر فرانز إليه بعينين مرتبكتين وهز كتفيه قليلا ثم قال :

- إنهم قضوا عندى فترة من الليل ، وكانت فترة طويلة جدا . وكان مع شوارتز أو ليفين ، ولا أهمية للإسم ، زجاجة من الخمر فى جيبه ، وقد شرب أخى كثيراً .

وقد قال له شوارتز غاضبا فى إحدى اللحظات : هذه هى المرة الثانية التى تقوم فيها معى بهذا الدور .

وروى لى الفريد عندئذ قصة المرأة العجوز . .

سأله ميجريه : وماذا تعرف بالضبط عن شوارتز ؟

- إنه هو الرجل الذى يعمل أخى معه .. كان قد حدثنى عنه كثيرا ، وكان يرى أنه رجل قوى وشديد الخطر ، وله طفل من امرأة جميلة .. إيطالية ، تعيش معه أغلب الوقت .

- أهى جلوريا ؟

- نعـــم . وكان شوارتز يزاول نشاطه فى الفنادق ، وقد وقع على سيدة ثرية جدا وغريبة الأطوار ، كان يرجو أن يحصل منها على الكثير ، وقد ألحق جلوريا بخدمتها .

- وكرينكر ؟

- لم أره إلا ميتا ، إذا جاز لى هذا القول لأن الرصاصة أطلقت عليه ولما يقضى عندى غير لحظات وجيزة. ومع التفكير

أرى أن هناك أشياء لم أفهمها إلا فيما بعد .

- مثـال ؟

- إن شوارتز أعد خطته بكل دقة. كان يريد إخفاء كرينكر، وقد اهتدى إلى هذه الطريقة للتخلص منه دون أن يجازف بأى خطر . كان يعرف وهو قادم ما سوف نقع ، وارسل جلوريا إلى كونكارنو لكي تبعث بالبرقية إلى فرناند .

- والمرأة العجوز ؟

- إننى لم أشترك فى هذه القصة . وكل ما أعرفه هو أن كرينكر حاول بعد طلاقه أن يتقرب إليها ، وتمكن من ذلك فى الأيام الأخيرة . وقد أعطته مبالغ صغيرة سرعان ما كانت تذوب لانه كان يعشق حياة الترف . وكان يريد الحصول على مبالغ كبيرة لكى يمضى إلى أمريكا . - أكان لا يزال يحب زوجته ؟

- لا أدرى . وقد تعرف شوارتز ، أو بوجه أصح ، عرف هذا الاخير بأمره من جلوريا . وخطط لكى يلتقى فى أحد البارات ، وتصادقا .

- هل ذكروا لك كل هذا ليلة المرمد ومقتل كرينكر ؟

- كانت أمامنا ساعات طويلة لكى ...

- فهمت

- لم يقولوا لى اذا كانت الفكرة فكرة كرينكر أو إذا كان

شوارتز هو الذى اقترحها . كان يبدو أن المرأة العجوز اعتادت السفر ومعها حقيبة صغيرة تضم ثروة كبيرة من المجوهرات .

وكان ذلك فى الوقت الذى تمضى فيه إلى شاطىء الكوت دازور عادة، وكان على كرينكر أن يقنعها بالرحيل فى سيارته.

وفى الطريق ، فى مكان ما . أطلق شوارتز النار ، وأظن أنه فعل ذلك عامدا ، لكى يرغم الاثنين الآخرين على البقاء تحت رحمته .

- بما فيهما أخوك ؟

- نعـــــم .

- وقد وقع الهجوم فى طريق فونتنبلو ، ومضى بعد ذلك إلى لاينى ، وتخلصوا من السيارة ، وكان شوارتز قد أقام فى وقت من الأوقات فى هذه القرية ، وكان يعرف المكان جيدا ، ماذا تريد أن تعرف غير ذلك ؟

- أين المجوهرات ؟

- أنهم عثروا على الحقيبة الصغيرة ، ولكنها كانت فارغة. ولا ريب أن الكونتيسة كانت تشك فى الأمر . ولم تعرف جلوريا . وكانت ترافقها ، عن المجوهرات شيئاً هى الأخرى. ولعلها أودعتها أحد البنوك .

- وعندئذ استولى الرعب على كرينكر ؟

– أراد أن يجتاز الحدود على الفور ببطاقته الحقيقية ،
شوارتز قال له انهم سوف يقبضون عليك . ولم يعرف النو،
ذلك وأفرط فى الشراب ، وتملكه الذعر . ورأى شوارتا
الطريقة الوحيدة للنجاة والإطمئنان هى التخلص منه ، فج
إلى بحجة أن يزوده بجواز سفر مزيف .

– وكيف حدث أن بدلة أخيك ؟ ...

– تعثر الفريد لحظة ما فى نفس المكان الذى ....

– وأعطيته عندئذ بدلتك الزرقاء واحتفظت ببدلت
ونظفتها فى اليوم التالى ؟

ولا ريب أن فرناند امتلأ ذهنها بصورة دامية لانها ر
تنظر إلى زوجها كما لو كانت تراه لاول مرة ، محاولة
تتصوره أثناء الأيام والليالى التى قضاها بعد ذلك وحده
القبو وفى الورشة .

ورآها ميجريه ترتعش . ولكنها لم تلبث أن بسطت
وألقتها فوق يد المجلد الضخمة وتمتمت تقول وهى تحاول
تبتسم :

– أرجو أن يكون بالسجن ورشة لتجليد الكتب .

وكان بوليس ثلاث دول يجدون فى البحث عن ليفين ،
يكن يدعى شوارتز ولا ليفين وإنما سركيستان . وقد أ

القبض عليه بعد شهر من ذلك ، فى قرية صغيرة فى ضواحى أورليان ، حيث كان يقضى وقته فى صيد السمك بالصنارة .

وعثروا على جلوريا بعد يومين آخرين ، فى أحد بيوت الدعارة بأورليان . ورفضت أن تبوح باسم القوم الذين عهدت بابنها لهم .

أما الفريد موس فقد بقيت أوصافه فى نشرات البوليس لمدة أربع سنوات .

وفى أحد الليالى شنق بهلوان فى حالة يرثى لها نفسه فى سيرك متنقل بين الأرياف ، فى شمال فرنسا . وعرف الشرطة شخصيته عندما فحصوا أوراقه التى وجدوها فى حقيبته .

أما مجوهرات الكونتيسة بانيتى فانها لم تغادر فندق كلاريدج أبداً . فقد عثروا عليها فى حقيبة بمخزن الفندق . ولم يعترف اسكافى تورين أبداً ، حتى وهو مخمور ، بأنه هو الذى كتب الرسالة المجهولة .

« تمت »

جورج سيمنون

أسماه أندريه چيد: أعظم روائى القرن العشرين. وقيل أن المفتش البوليسى ميجريه الذى ابتدعه لا يزاحمه غير شرلوك هولمز. وقد خلف ٤٢٠ رواية، ١٩٣ منها بأسمه. والباقى بأسماء مستعارة. و٨٤ منها تدور حول المفتش ميجريه.

وقيل أنه كان يكتب فى كل يوم فصلا كاملا من رواياته. ولكنه كان يعيش حياة الثراء والكسل، فلا يعمل إلا من وقت إلي آخر. كما قيل أن حياته العائلية، مع أمه، ثم زوجاته، وأبنائه، لم تكن سعيدة.

وقد ولد چورج سيمنون فى مدينة لييج
١٩٠٣. وكان والده كاتبا صغيرا. وقد رحل
باريس، وعاش حياة اللهو الكامل فيها.
المغنية الزنجية الشهيرة چوزفين بيكر. ثم
منذ بداية الثلاثينات عن المفتش ميجريه.
رواجا كبيرا. وحققت له ثروة واسعة.



دار ومطابع المستقبل بالفجالة و الاسكندرية